الفكر الإصلاحي

عند الشيخ مصطفى عبد الرازق

إعداد الدكتورة

نعيمة محمود مصطفى مبارك

مدرس العقيدة والفلسفة في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات

بكفر الشيخ، جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الفكر الإصلاحي عند الشيخ مصطفى عبد الرازق

نعيمة محمود مصطفى مبارك.

قسم العقيدة والفلسفة، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بكفر الشيخ – جامعة الأزهر، مصر.

البريد الإليكتروني:mubaraknaima84@gmail.com

الملخص:

يُعَد الشيخ مصطفى عبد الرازق رائدًا من رواد الفكر الإصلاحي في مصر والعالم الإسلامي، حيث دافع عن قضايا الدين وتراثه وحضارته، وحمى التراث الإسلامي وصانه من كيد المستشرقين أعداء الدين، وتصدى بقلمه وفكره لمحاربة أعداء الدين من الماديين، والإلحاديين، فأقام البراهين العلمية لإثبات قضايا العقيدة الإسلامية، وناقش آراء الغربيين الذين أصدروا أحكامًا جائرة حول أصالة الفلسفة الإسلامية، وبيّن أنّ العلاقة بين الدين والعلم هي علاقة توافق وانسجام، والدين لا يعارض العلم، بل يدعو إليه؛ لأن الدين صديق للعقل والعلم معًا، ونادى أيضًا بتحرير الفكر من التقليد والتبعية، والعودة بالإسلام إلى منابعه الأولى، وتخليصه من الأفكار الهدامة ومن البدع والخرافات، وبيّن فضل الحضارة الإسلامية على سائر الحضارات، فهو بحق قائد الحركة الفكرية الإصلاحية في مصر والعالم الإسلامي، وصاحب الدور البارز في خدمة الإسلام. لذا كان هذا البحث ففيه: التعريف بالشيخ مصطفى عبد الرازق، وصلة الشيخ بالإمام محمد عبده، وسمات تفكير الشيخ ومنهجه، والجوانب التطبيقية للفكر الإصلاحي في الجانب الديني والجانب الفلسفي، وقد اعتمدت هذه الدراسة على المنهج التكاملي الذي يجمع بين عددٍ من المناهج، بحيث تعالَج كل جزئية بما يناسبها من مناهج البحث.

الكلمات المفتاحية: الفكر، الإصلاحي، مصطفى عبد الرازق، الاستشراق، الهدامة، الخرافات، البدع، العقل، العلم.

The Reformational Thought of Sheikh Mustafa Abdelrazek

By: Naima Mahmoud Mustafa Mubarak
Department of Creed and Philosophy
Faculty of Islamic and Arabic Studies for Women in Kafr Alsheikh
Azhar University, Egypt
E-mail: **mubaraknaima84@gmail.com**

Abstract:
Sheikh Mustafa Abdelrazek is considered a pioneering scholar of the reformational thought in Egypt and the Islamic world. He has defended the issues of religion regarding its heritage and civilization. He safeguarded the Islamic heritage and maintained it from the machinations of the orientalists, the enemies of our religion. Sheikh Abdelrazek relied on his pen and thought in his fighting against the enemies of our religion whether they were materialists or atheists. He has utilized scientific evidence to clarify the issues of the Islamic creed. He has also examined the views of the Westerners who had issued unfair judgments about the authenticity of the Islamic philosophy. In addition, Sheikh Abdelrazek has stated that the relationship between religion and science is that of agreement and harmony so that religion is in no contradiction with science but rather it calls for learning because religion is a friend of both reason and science. Sheikh Abdelrazek has called for liberating thinking from imitation and subordination, thus taking Islam back to its early roots freeing it from destructive ideas, heresies and superstitions. Moreover, Sheikh Abdelrazek has clearly shown the superiority of the Islamic civilization over all other civilizations. He is truly the leader of the intellectual reformist movement in Egypt and the Islamic world. He also played a prominent role in serving Islam. Accordingly, this research has introduced Sheikh Mustafa Abdelrazek and his relation to Sheikh to Imam Mohammed Abdou. This research paper has also handled the characteristics of Sheikh Abdelrazek's thought, his approach, the applied aspects of his reformational thinking with reference to the religious and philosophical respects. To conclude, this research paper has applied the integrative approach which includes several other methods where each part is processed in accordance with the suitable research methodology.

Keywords: thought - reformational- Mustafa Abdelrazek, orientalism, destructive, superstitions, heresies, reason, science

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد النبي الهادي الأمين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

وبعـــد ...

في تاريخنا المعاصر شخصيات لا تتكرر، ولا تنساها الأجيال لما تركته من عظيم الأثر في الحياة الفكرية والثقافية، ومن أبرزها شخصية الإمام الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق الذي يعد واحداً من رجال الأزهر المخلصين، فقد ذاع صيته مع بداية القرن العشرين فهو فيلسوف ومفكر مرموق، اتسم برجاحة العقل والفكر المستنير، واطلاعه الموسوعي على شتى المعارف والعلوم، ولا سيما علوم الدين، فكشفت آثاره ومؤلفاته عن فكره الإصلاحي حول قضايا الدين والمجتمع، فجمع بين الحديث والقديم في بناء ثقافته ونشر الفكر الإصلاحي، فهو أحد أعلام مدرسة الإمام محمد عبده[١] والتي كانت تقوم بمناقشات علمية وأدبية وإصلاحية، فأساسها الإصلاح والتجديد، فهو صاحب الدقة المنهجية والتحليل الرائع والرؤية النقدية لكثير من الآراء والأفكار.

أهمية الموضـوع وأسـباب اختياره:

ترجع أهمية الموضوع وأسباب اختياره إلى سبب ذاتي وآخر موضوعي، فالذاتي يتمثل في فضولي المعرفي لدراسة فكر الشيخ، حيث كان محركًا لي من أجل دراسة الفكر الإصلاحي للقضايا

(١) الإمام محمد عبده بن حسن خير الله، ولد بالبحيرة عام ١٨٤٩م، وتخرج من الأزهر عام ١٨٧٧م، من أنصار حركة التجديد الفكري بواسطة التربية والتهذيب والتعليم، توفي عام ١٩٠٥م، ومن مؤلفاته: الأعمال الكاملة والإصلاح، ورسالة التوحيد. موسوعة أعلام الفكر الإسلامي: د/ محمود حمدي زقزوق وآخرون. (ص: ٩٦٩) المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة: ٢٠٠٤م. رقم الإيداع: ٨٢٩١/ ٢٠٠٤م.

الفلسفية المعاصرة من خلال تراثه الفكري والفلسفي والسير في أغواره، وبيان دوره البارز في مجال الإصلاح الفكري ودفاعه عن الدين وبيان أصالة الفلسفة الإسلامية، أما الموضوعي فيرجع للآتي:

- غزارة علم الشيخ ودقة تحليلاته وحسه النقدي الذي ظهر في مؤلفاته التي يغلب عليها الدقة والموضوعية لآراء بعض المستشرقين الذين أصدروا أحكامًا ضد علاقة الدين بالعلم والدين بالفلسفة، فأثبت الشيخ أنها أحكام خاطئة تفتقر إلى الدقة والموضوعية والمنهجية.
- حرص الشيخ الدائم على تقديم فكر إصلاحي في مجال الفكر الإسلامي مدعمة بالنصوص المنزلة من القرآن والسنة، وآثار العلماء في دعم الجانب العقلي، وهذا أمر له قيمته في إبراز أصالة الفكر الإسلامي والفلسفي.
- الحاجة إلى دراسة المؤلفات الخالدة التي خلفها الشيخ، والعمل على ذيوعها ونشرها لأنها خير دواء لأمراضنا المنتشرة الفكرية والثقافية والاجتماعية والأخلاقية.

منهـج الدراسـة:

اعتمدت هذه الدراسة على المنهج التكاملي، والذي يجمع بين عددٍ من المناهج، بحيث تعالَج كل جزئية بما يناسبها من مناهج البحث، كاستخدام المنهج التاريخي: من خلال عرض جوانب من حياته، وكذا عند ترجمة الشخصيات التي ترد خلال هذا البحث، والمنهج التحليلي: من خلال استعراض فكره الإصلاحي، وتحليله تحليلاً علميًا؛ لبيان مغزاه، والمنهج النقدي: في بيان العلاقة بين الدين والعلم، ونقد آراء بعض المستشرقين في إنكارهم أصالة الفلسفة الإسلامية، والمنهج الاستقرائي: من خلال تتبع واستقراء المسائل الواردة في البحث؛ للوقوف على مواطن الاتفاق والاختلاف، فضلاً عن الكشف عن مواطن التأثير والتأثر، وقد تتداخل هذه المناهج في مسألة، وقد تفترق.

خطـة البحـث:

أما بالنسبة لخطة البحث، فقد اشتمل البحث على مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة على النحو التالي: -

أما المقدمة: فجاء فيها أهمية الموضوع، أسباب اختياره، المنهج المتبع، خطة البحث.

وأما التمهيد: فتناولت فيه التعريف بالشيخ مصطفى عبد الرازق، صلة الشيخ بالإمام محمد عبده، سمات تفكير الشيخ ومنهجه، والجوانب التطبيقية للفكر الإصلاحي عنده.

وأما المبحث الأول: فتناولت فيه الفكر الإصلاحي في الجانب الديني في "بيان العلاقة بين العلم والدين، وبيان دور العقل في الدين".

وأما المبحث الثاني: فتناولت فيه الفكر الإصلاحي في الجانب الفلسفي في "الرد على المستشرقين وبيان أصالة الفلسفة الإسلامية".

وأما الخاتمة: فذكرت فيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

التمهـيد

أولاً: التعريف بالشيخ مصطفى عبد الرازق.

هو الإمام الفيلسوف مصطفى بن حسن بن أحمد بن محمد بن عبد الرازق، الشافعي[1] المذهب، وُلد عام (١٨٨٥ م – ١٣٠٢ هـ) في قرية أبو جرج التابعة لمركز بني مزار بمحافظة المنيا بصعيد مصر، قضى طفولته في قرية ريفية، تميز أهلها بطيبة القلب، وصفاء النفس، تعلم مبادئ القراءة والكتابة بها، وتميّزت أسرته بالتدين، وبقدر من الثراء، فالأب من أعيان المصريين القادرين ماديًا، ومن المعلوم أن للبيئة أثرها بما تحمله من تقاليد تقوم على المروءة، الكرم، والتسامي عن الشبهات، وكان لها أثرها البالغ على شخصية الشيخ وحياته الفكرية والإصلاحية، والتي تميزت بجو جمع بين الدين والعلم، كان والده أزهريًا وصديقًا للإمام محمد عبده، ومشاركًا في الحياة العامة والاجتماعية؛ حيث تولى أفراد أسرته أعمال القضاء، والمشاركة في الحياة السياسية للدولة، كان والده عضواً بمجلس شورى القوانين في عهد "إسماعيل باشا"، واشترك والده مع الإمام محمد عبده في تأسيس "الجمعية الخيرية الإسلامية بالقاهرة"، وألحقه والده بكتّاب القرية في سن مبكر وحفظ به القرآن الكريم، ثم بادر بإلحاقه بالأزهر الشريف ليُحصّل العلوم الإسلامية والأدبية، ثم بدء الشيخ يتردد على دروس الإمام محمد عبده، فأصبح من خواص تلاميذه، وتأثَّر به وبمنهجه وبأفكاره الإصلاحيّة، وألقى الدروس بجامع الأزهر، ثم سافر إلى فرنسا والتحق بجامعة السوربون ١٩٠٩م، ودرس علم الاجتماع على يد "إميل دور كايم"، والفلسفة من "جويلو" وغيرهم، وقام بالتدريس بالسوربون، وتتلمذ على يد كبار علماء الأزهر الشريف منهم: الإمام محمد عبده، الشيخ بسيوني

---

(١) رسالة الدكتوراه للشيخ جاءت تحت عنوان "الإمام الشافعي أكبر مشرِّعي الإسلام"، وصدر عن الشيخ في سلسلة أعلام الإسلام عام ١٩٤٥م كتاب عن الإمام الشافعي، وكان الشيخ وفيًا للإمام في استكشاف مذهب جديد في الفلسفة الإسلامية وهو ضم الفقه وأصوله إلى مباحث الفلسفة الإسلامية. الشيخ الأكبر مصطفى عبد الرازق – مفكراً وأديبًا ومصلحًا: د. عاطف العراقي (ص: ١٣) الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية بالقاهرة: ٢٠٠٤م.

عسل، الشيخ محمد حسين البولاقي من علماء الشافعية، ودرس أصول الفقه على يد الشيخ محمد أبو الفضل الجيزاوي شيخ الأزهر، والشيخ محمد بخيت مفتي الديار المصرية، ودرس المنطق على يد الشيخ محمد حسين العدوي، وكان الشيخ من قرّاء الشيخ جمال الدين الأفغاني المهتمين بتراثه وخصوصاً في ردوده على "رينان الفرنسي"، وكان للشيخ تلاميذ لا يزال أثرهم قوي في توجيه حياتنا العلمية والثقافية حتى وقتنا الحالي، ومن أبرزهم د. محمد الخضيري، د. محمد مصطفى حلمي، د. محمد عبد الهادي أبو ريدة، د. علي سامي النشار، د. عثمان أمين، والإمام الأكبر د. عبد الحليم محمود، د. محمد عبد الرحمن بيصار وغيرهم كثير.

وقد شغل الشيخ عدة مناصب: حيث عيّن أستاذاً بكلية الآداب بجامعة القاهرة، وسكرتيراً عاماً للأزهر، ثم سكرتيراً عاماً للمجلس الأعلى للأزهر، ورئيساً للجمعية الخيرية الإسلامية، وعيّن مفتشاً للمحاكم الشرعية في مصر، وكان عضواً في مجلس إدارة دار الكتب المصرية، وعضواً في مجمع اللغة العربية، ثم عيّن وزيراً للأوقاف، وكان أول شيخ أزهري يتولى الوزارة (١٩٣٨هـ: ١٩٤٤م)، ثم عيّن شيخاً للجامع الأزهر سنة: ١٩٤٥م، وأثناء توليه مشيخة الأزهر الشريف حقق جزء من فكره الإصلاحي، فأدخل اللغات الأجنبية إلى الأزهر، وأرسل البعثات الأزهرية إلى الخارج، واستمر في منصب "شيخ الأزهر" إلى أن توفي بالقاهرة في ١٥ فبراير عام (١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م).

مؤلفاته:

زخرت المكتبة العربية والإسلامية بتراثه الثري فقد توزع إنتاجه العلمي ما بين الفلسفة والأدب والترجمة إلى جانب التقديم لبعض الكتب على النحو التالي: "البهاء زهير" تناول دراسة الشاعر المصري من زاوية تجديده في الشعر، الدين والوحى والإسلام، "الإمام الشافعي" سلسلة أعلام الإسلام، فيلسوف العرب والمعلم الثاني، الصوفية والفرق الإسلامية، "الشيخ محمد عبده" ركز فيه

على الجانب الإصلاحي من حياة الإمام، تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، صفحات من سفر الحياة ومذكرات مسافر ومذكرات مقيم، وآثار أخرى في الفلسفة والأدب والإصلاح جمعها شقيقه علي عبد الرازق تحت عنوان "من آثار مصطفى عبد الرازق"، التعليق على مادة "تصوف" التي كتبها "ماسينون"، وقام بترجمة: "رسالة التوحيد" للإمام محمد عبده من العربية إلى الفرنسية، مقدمة كتاب "الإسلام والتجديد في مصر" تأليف "تشارلز آدمز" ترجمة عباس العقاد، مقدمة كتاب: "موسى بن ميمون"، ومقدمة كتاب "اعتقادات المسلمين والمشركين" لفخر الدين الرازي، نقد ترجمة كتاب "الواجب"، وله الكثير من المقالات التي نشرت في العديد من المجلات منها "الجريدة" [1].

من خلال هذا العرض يتضح أن الشيخ صاحب دراسة أزهرية وثقافة عامة في أكثر من مجال من مجالات الفكر، وقد ظهر أثر هذه الثقافات في الكتب والمقالات والدراسات التي تركها والتي تميزت بالدقة والمنهجية والتحليل الرائع، والتي تركت بدورها أثراً مهمـًا في فكرنا الفلسفي المعاصر، أضف إلى ذلك اتساع مدارك الشيخ الثقافية بدراسة العلوم الدينية الأزهرية، والثقافة

(١) للمزيد من التفاصيل راجع: تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية: د. مصطفى عبد الرازق (ص: ١٧- ١٩) تقديم: محمد حلمي. دار الكتاب المصري – القاهرة: ٢٠١١م، من آثار مصطفى عبد الرازق (ص: ٥- ٧٥) مقدمة طه حسين. دار المعارف بمصر: ١٩٥٧م، الأعلام: الزركلي الدمشقي ت: ١٣٩٦ه (ج٧/ ٢٣١) دار العلم للملايين: ط١٥/ ٢٠٠٢م، الشيخ الأكبر مصطفى عبد الرازق – مفكراً وأديبـًا ومصلحـًا: د. عاطف العراقي (ص: ٢٧١)، المفكر الإسلامي المعاصر مصطفى عبدالرازق: د. علي عبد الفتاح (ص: ١٩، ٢٠) دار المعارف: ط٢/ ١٩٨٧م، الشيخ مصطفى عبد الرازق ومذكراته – عقل مستنير تحت العمامة: د. أحمد زكريا الشلق (ص: ١٣، ١٤، ٤٢) الهيئة المصرية العامة للكتاب: ٢٠٠٦م، موسوعة أعلام الفكر الإسلامي: د. محمود حمدي زقزوق وآخرون (ص: ١٠٧٤) المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة: ٢٠٠٤م. رقم الإيداع: ٨٢٩١/ ٢٠٠٤م، ونشأة الفكر الفلسفي في الإسلام د. علي سامي النشار (ج١/ ٢٤) دار المعارف القاهرة: ١٩٨١م.

الغربية في أوسع مجالاتها في جامعة السوربون بفرنسا، والتأثر بالمنهج العلمي الحديث، مع الحفاظ على قيمه وعاداته وتقاليده الدينية بنشر فكره الإصلاحي والدفاع عن أصالة الفلسفة الإسلامية.

ثانياً: صلة الشيخ مصطفى عبد الرازق بالإمام محمد عبده.

لم يترك الشيخ أثراً من آثار الإمام إلا بذل جهداً في الاطلاع عليه وادخاره والذي كان له عظيم الأثر في تكوين فكره الإصلاحي، فقد اتصل الشيخ بالإمام وهو في نهاية مراحل تعليمه في الأزهر، فكان من خاصة تلاميذ الإمام وأقربهم إليه بروحه وعقليته، حيث بدأ الشيخ تلقى دورس الإمام عام ١٩٠٣م في الرواق العباسي والذي كان يقرأ "دلائل الإعجاز" للجرجاني، ويلقي دروسه في تفسير القرآن الكريم، وتأثر به وبأفكاره الإصلاحية وتوثقت الصلة بينهما، وشارك في الجمعية الأزهرية التي أنشأها الإمام للنهوض بالأزهر حيث كانوا يجتمعون فيها أسبوعيًا ويتناقشون فيما بينهم مناقشات علمية وأدبية وإصلاحية، واختير الشيخ رئيسًا لها، ومن شدة تأثره به ألف كتاب "الشيخ محمد عبده" ونشره عام ١٩٤٦م، جمع فيه مقالاته ودراساته عن أستاذه، وظل الشيخ ينشر آثاره ووجهته في الفكر الإصلاحي جامعًا بين القديم والحديث، وجاهد الشيخ بقلمه ولسانه وحياته العلمية لخدمة الدعوة الإصلاحية، ونشر الحرية الفكرية التي نهض بها الإمام، كما قام بترجمة "رسالة التوحيد" إلى الفرنسية بالاشتراك مع "برنارد ميشيل"، وتأثر الشيخ بالنزعة العقلية من مدرسة الإمام الإصلاحية، وكان للشيخ فضل المسعى في اتخاذ منزل الإمام في عين شمس متحفًا له، وألقى عنه محاضرات في جامعة الشعب، ولم يدخر جهداً في تعريف تلاميذه بفضل الإمام وأثره[١].

(١) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: د. علي سامي النشار (ج١/ ٢٥)، رائد الفكر المصري الإمام محمد عبده: د. عثمان أمين (ص: ٢٢٢، ٢٢٥) مكتبة النهضة المصرية القاهرة: ١٩٥٥م، الشيخ مصطفى عبد الرازق ومذكراته – عقل مستنير تحت العمامة: د. أحمد زكريا الشلق (ص: ١٥، ١٦)، المفكر الإسلامي المعاصر مصطفى عبد الرازق (ص: ٢٠)، ومن آثار مصطفى عبد الرازق (ص: ٢٧، ٣٠).

ثالثاً: سمات تفكير الشيخ مصطفى عبد الرازق ومنهجه.

من أهم مميزات الشيخ استقلال فكره، ربط الفكر بالعمل بالعناية الدقيقة بالتفكير أولاً ثم بالتعبير عن فكره، عدم التسرع في الحكم، البعد عن التعصب، تحليل الأفكار والاهتمام بالمضمون، المنهجية والموضوعية، نقد الفكرة قبل قبولها بخضوعها لحكم العقل والنقل، نظرة كلية شاملة تربط الجزئيات بالكليات، رد المسائل المتفرعة إلى أصولها، الأصالة والمعاصرة "التوفيق بين القديم والحديث"، البعد عن المعتقدات الخاطئة في فهم الدين، مكافحة العادات والتقاليد السيئة ويحمل على الظلم والاستبداد، ويندد بجميع الانحرافات الاجتماعية، فطريقته في الدعوة ومذهبه الإصلاحي بالعمل أولاً ثم بالقول الصريح [١].

رابعاً: الجوانب التطبيقية للفكر الإصلاحي عند الشيخ مصطفى عبد الرازق.

تعددت مجالات الفكر الإصلاحي عند الشيخ، فكان مصلحًا دينيًا ومصلحًا اجتماعيًا، وكان له عظيم الأثر في مجال الإصلاح بطرق متعددة منها الإصلاح في مجال التأليف والخطب والمقالات، والتي اتجهت إلى نقد المجتمع ودعت إلى إصلاحه ونهضته، ومن أهم تلك المجالات ما يلي: -

* الشيخ صاحب اتجاه فكري أصيل ومبتكر، حيث دعا إليه في وقت شاع فيه الاستخفاف بالفكر الفلسفي بين دارسيه من مستشرقين وعرب، وقد كان الشيخ بمنهجه في الفلسفة وموضوعيته في البحث واتزانه في إصدار أحكامه، وقدرته على تنفيذ الرأي الذي يلتقي عنده خصوم مذهبه، استطاع أن يخلق إصلاحًا فكريًا يستريح له العقل ويطمئن إليه القلب، وخير مثال على ذلك بيان العلاقة بين الدين والعلم، ونقد الشيخ لكتابات بعض المستشرقين، وبيان أصالة الفلسفة الإسلامية وهو

(١) المفكر الإسلامي المعاصر مصطفى عبد الرازق (ص: ٣٣)، رائد الفكر المصري الإمام محمد عبده: د. عثمان أمين (ص: ١٤٩) مكتبة النهضة المصرية القاهرة: ١٩٥٥م، ومن آثار مصطفى عبد الرازق (ص: ٢٢، ٢٣، ١٢٥).

موضوع البحث والدراسة [١].

* أول مصري يدرِّس الفلسفة الإسلامية بالجامعة المصرية، حيث كانت تدرَّس قبل ذلك من خلال الدرس الاستشراقي الذي ربط الفلسفة الإسلامية بالتراث اليوناني، وأدخل علمي الكلام والتصوف من أبواب الحياة العقلية في الإسلام ضمن مباحث الفلسفة الإسلامية، ودعا إلى البحث عن أوجه الأصالة والابتكار في الفلسفة الإسلامية[٢].

* اعتبر الشيخ الإمام الشافعي [٣] فيلسوفًا إسلاميًا؛ لأنه حاول أن يجعل من أصول الاستنباط الفقهي وقواعده علمًا، وأن يجعل الفقه تطبيقًا لقواعد هذا العلم؛ لأن الفقه يفيد صلاحًا للناس في معاملتهم، ويحقق معنى العدل والنظام ويمنع الخصام، فدرس الشيخ رسالته في أصول الفقه، ورأى أن الشافعي فيلسوف في أصول الفقه وما يتصل به من المشكلات المختلفة في الدين واللغة واستنباط الأحكام من النصوص[٤]، يقول الشيخ: "كان الناس قبل الشافعي يتكلمون في مسائل أصول الفقه

(١) الشيخ الأكبر مصطفى عبد الرازق – مفكراً وأديبًا ومصلحًا: د. عاطف العراقي (ص: ٣٤، ٣٥).

(٢) الشيخ مصطفى عبد الرازق ومذكراته – عقل مستنير تحت العمامة: د. أحمد زكريا الشلق (ص: ٢٢، ٤٧).

(٣) الشافعي: محمد بن إدريس الشافعي، ولد بغزة سنة ١٥٠ه، مكي الأصل، مصري الدار بها مات في رجب سنة ٢٠٤ه، وكان أفقه الناس في كتاب الله ﷻ وفي سنة رسول الله ﷺ، كما برع في الشعر واللغة، وهو أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة. وإليه نسبة الشافعية كافة. وله الكثير من المصنفات منها: الأم، ومن كتبه المسند أحكام القرآن، والسنن، والرسالة، واختلاف الحديث، والسبق والرمي، وفضائل قريش، وأدب القاضي، والمواريث. الجرح والتعديل: ابن أبي حاتم الرازي ت: ٣٢٧ه (ج٧/ ٢٠١) مجلس دائرة المعارف العثمانية –بحيدر آباد الدكن –الهند ودار إحياء التراث العربي –بيروت: ط١/ ١٢٧١هـ-١٩٥٢م، والأعلام للزركلي (ج٦/ ٢٦).

(٤) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية (ص: ٢٤٥)، الشيخ الأكبر مصطفى عبد الرازق – مفكراً وأديبًا ومصلحًا: د. عاطف العراقي (ص: ٧١)، الشيخ مصطفى عبد الرازق ومذكراته (ص: ٤٦)، المفكر الإسلامي المعاصر مصطفى عبد الرازق (ص: ٤٤)، ومن آثار مصطفى عبد الرازق (ص: ٢٨).

ويستدلون، ويعترضون ولكن ما كان لهم قانون كلي مرجوع إليه في معرفة دلائل الشريعة وفى كيفية معارضتها وترجمتها، فاستنبط الشافعي علم أصول الفقه، وأن الشافعي مهّد هذا الفن ورتّبه وهو أول من أخرجه"[١]، "وأسلوب الشافعي في "الرسالة" تكاد تحسبه لما فيه من دقة البحث ولطف الفهم وحسن التصرف في الاستدلال، والنقض ومراعاة النظام المنطقي، حواراً فلسفيـًا على رغم اعتماده على النقل أولاً، واتصاله بأمور شرعية خالصة .... وقد استدل الشافعي على حجية القرآن والسنة والإجماع، وهى مسألة وثيقة الاتصال بأبحاث المتكلمين" [٢]؛ لذلك كان للشيخ السبق في اعتبار مباحث علم أصول الفقه وثيق الصلة بالفلسفة، وهو في جملته من جنس المباحث التي يتناولها علم الكلام كالتحسين والتقبيح العقليين ووجوب شكر المنعم وغير ذلك؛ لأن علم أصول الفقه قائم على القواعد المنهجية والتحليلات المنطقية والقياس والاستقراء والاستنباط[٣]، ويقول الشيخ: "إذا كان لعلم الكلام ولعلم التصوف من الصلة بالفلسفة ما يسوغ جعل اللفظ شاملاً لهما، فإن علم أصول الفقه المسمى أيضـًا علم أصول الأحكام، ليس ضعيف الصلة بالفلسفة، ومباحث أصول الفقه تكاد تكون في جملتها من جنس المباحث التي يتناولها علم الكلام؛ بل إنك لترى في كتب أصول الفقه أبحاثـًا يسمونها مبادئ كلامية هي من مباحث علم الكلام" [٤]، إذاً في مجال الدراسات الفقهية نظر عقلي أصيل متمثل في باب "الاجتهاد والرأي".

* فكره الإصلاحي في الجانب التعليمي: طالب الشيخ بالتعليم الإجباري ليحمل الأمة طوعـًا أو

---

(١) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية (ص: ٢٣٣).

(٢) المرجع السابق (ص: ٢٤٥)، والشيخ الأكبر مصطفى عبد الرازق – مفكراً وأديبـًا ومصلحـًا: د. عاطف العراقي (ص: ٢٢٧).

(٣) الشيخ الأكبر مصطفى عبد الرازق – مفكراً وأديبـًا ومصلحـًا (ص: ٨٥).

(٤) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية (ص: ٢٧).

كرهـًا على أن تتعلم؛ لأن العلم شفاء لكل داء، وقال "نريد أن يوجد في بلدنا من المدارس ما يكفي لكل طالب أن يتعلم وأن يمنح التعليم كفايته"[١]، وأثناء توليه مشيخة الأزهر الشريف أدخل اللغات الأجنبية إلى الأزهر.

* فكره الإصلاحي في جانب الأخلاق: يرى الشيخ أن الأخلاق ينبغي أن تكون فنـًا للحياة، ترسم قاعدة ثابتة لسلوك الشخص مع نفسة ومع غيره، وأن يكون للإنسان في حياته موقف مقرر وخطة مرسومة لكي يكون حكيمـًا، والحكمة ما يلازم سلوك الإنسان من ثبات واستقرار، هذا الثبات يجب أن يكون في الخير، وليس الخير هو ما يطلبه جمهور الناس عادةً من اللذات أو المال أو الصيت؛ إنما الخير هو جمال الروح، والحب والسماحة والسلام، أضف إلى ذلك دعوة الشيخ إلى أن تتجه التربية الحديثة إلى تقوية شعور التعاطف والتحاب بين أفراد الإنسانية [٢]، وكان يحث على الفضائل الأخلاقية العملية مثل: الوفاء، البعد عن النفاق، عدم التكالب على المال أو الإسراف فيه، الإحسان وعدم التظاهر بفعله، عدم التزاحم على المدح والثناء، وبذل النفس والتضحية [٣].

* أما بالنسبة لمكانة المرأة في فكره الإصلاحي: فقد دافع الشيخ عن حق المرأة في أن تأخذ مكانة في المجتمع قائلاً: "إن المرأة بعلمها وعملها تستطيع أن تكون عظيمة، وأن تزاحم الرجال بالمناكب في العديد من الميادين، وتكون عضواً عاملاً نافعـًا في بنية الأمم، وما كانت الحرية التي يهبها العالم للمرأة المتعلمة إلا تمرداً على قيود الاستبداد الظالم وخضوعـًا لقيود الفضيلة والدين، وإنني أتمنى أن ينصرف النشاط النسائي إلى عمل البر، والدعوة إلى الخير؛ فقد فشا الشر في بني آدم، ولقد دعا الشيخ إلى حق المرأة في التعليم الديني فقال: "إذا كنا نشعر بحاجة بناتنا إلى العلم وكنا لا نزال نعتقد

(١) الشيخ الأكبر مصطفى عبد الرازق – مفكراً وأديبـًا ومصلحـًا (ص: ٢٥٢).

(٢) رائد الفكر المصري الإمام محمد عبده: د. عثمان أمين (ص: ٢٢٦، ٢٢٧).

(٣) المفكر الإسلامي المعاصر الشيخ مصطفى عبد الرازق (ص: ٨١).

بضرورة التعليم الديني لأمتنا، فمن الإنصاف أن نفكر في إنشاء معاهد لتعليم البنات"[١]، فلم يبق للإنسانية إلا أن تولي وجهها شطر بنات حواء، تبتغي الخير من حسان الوجوه"[٢]، وكان الشيخ حريصاً على تجديد المعاني الدينية، بحيث تشمل مشاكل المجتمع، لإيجاد مجتمع فاضل متكامل، مثل مسألة (تعدد الزوجات) حيث تطرّق الشيخ لهذه المسألة في العديد من الخطب الدينية؛ لانسياق العديد من الرجال أصحاب النظرة السطحية التي تجافي مقاصد الدين من التعدد، إشباعاً لرغباتهم وشهواتهم؛ فنتج عنها العديد من مشاكل المجتمع، فألقى الشيخ العديد من الخطب الدينية لمعالجة هذه المسألة؛ فبدأ بالحمد والصلاة، ثم أخذ يحدث الناس في أمر الزواج وبيّن لهم أن التعدد، يقلع الحب من أساسه؛ لأن الحب موحد لا يقبل الشرك، وإذا ذهب الحب فعلى السعادة العفاء في هذا العالم كله[٣]، وبالنظر إلى الشريعة الإسلامية نجد أنها لا تمنع تعدد الزوجات على الإطلاق ولا تبيحه على الإطلاق، وإنما تبيحه بضوابط شرعية منها: وجوب العدل بين الزوجات، وتحريم الجمع بين أكثر من أربع زوجات، وتحريم الجمع بين المحارم، والقدرة على الإنفاق، كما أنّ التعدد له العديد من المبررات منها: قلة عدد الرجال وكثرة عدد النساء، عقم الزوجة الأولى أو مرضها، إعفاف للغير، إعالة الأيتام، حب الرجل لامرأة أخرى، كل ذلك جاء مفصّل في الفقه الإسلامي[٤] المبني

(١) من آثار مصطفى عبد الرازق (ص: ٢٦)، والمفكر الإسلامي المعاصر الشيخ مصطفى عبد الرازق (ص: ٧٧).

(٢) الشيخ الأكبر مصطفى عبد الرازق – مفكراً وأديباً ومصلحاً: د. عاطف العراقي (ص: ٢٣٧).

(٣) من آثار مصطفى عبد الرازق: علي عبد الرازق (ص: ١٠٢، ١٠٣)، والشيخ مصطفى عبد الرازق ومذكراته – عقل مستنير تحت العمامة (ص: ٣٦)، المفكر الإسلامي المعاصر الشيخ مصطفى عبد الرازق (ص:١٣١).

(٤) ينظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (ج٢/ ٢٦٢) علاء الدين الكاساني الحنفي ت: ٥٨٧ هـ. دار الكتب العلمية: ط٢/ ١٩٨٦م، وتعدد الزوجات من النواحي الدينية والاجتماعية (ص: ٢٩) د. عبد الناصر العطار. الشركة المصرية للطباعة والنشر – القاهرة: ط٥/ ١٩٧٢م.

على حُجج القرآن الكريم والسنة النبوية، واختلاف ظروف وأحوال المجتمعات والأفراد، قال تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴿٣﴾ ﴾[1]، وقال رسول الله ﷺ: (من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما، جاء يوم القيامة وشقه مائل)[2]، وأجمع الفقهاء على أن نكاح الحر البالغ العاقل العفيف الصحيح بأربع حرائر مسلمات جائز[3].

* **إذاً يتضح أن** هناك جوانب تطبيقية متنوعة في مجالات الفكر الإصلاحي عند الشيخ منها الإصلاح في الجانب الأخلاقي، الاجتماعي، التعليمي، المرأة، الإصلاح في الفكر الديني في "بيان العلاقة بين العلم والدين وبيان دور العقل في الدين"، والإصلاح في الفكر الفلسفي "في الرد على المستشرقين وبيان أصالة الفلسفة الإسلامية" موضوع البحث والدراسة.

---

(١) سورة النساء الآية (٣).

(٢) أخرجه أبو داوود في سننه كتاب النكاح، باب في القسم بين النساء (ج٢/ ٢٤٢) رقم: ٢١٣٣، وأخرجه البيهقي في سننه كتاب القسم والنشوز، باب الرجل لا يفارق التي رغب عنها ولا يعدل لها (ج٧/ ٤٨٥) رقم: ١٤٧٣٨.

(٣) مراتب الإجماع (ص: ٦٢) أبو محمد على بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري ت : ٤٥٦. دار الكتب العلمية – بيروت.

المبحث الأول

الفكر الإصلاحي في الجانب الديني

في "بيان العلاقة بين العلم والدين، وبيان دور العقل في الدين".

كان الشيخ يؤمن بأن الدين هو أساس صلاح الفكر والمجتمع؛ لذلك كان من المهم لديه بيان العلاقة بين العلم [١] والدين [٢]، ومسألة العلاقة بين الدين والعلم – انسجاماً واتفاقاً، أو تعارضاً ونزاعاً – مسألة تثار دائماً في كل عصر من العصور، وكتب الغربيون كثيراً في هذا الصدد، ولكن هذه المسألة تجاوزت الغرب إلى الشرق، وكتب مفكرو الشرق فيها، واختلفوا فيما بينهم كما اختلف مفكرو الغرب؛ فتناول الشيخ مصطفى عبد الرازق هذه المسألة من خلال تحديد مفهوم الدين، وتوضيح العلاقة بين الدين والفلسفة، وبيان دور العقل في الدين، ثم تناول معنى الوحي والإسلام وعلاقة الإيمان بالإسلام، وفيما يلي بيان ذلك: –

أولاً: تحديد مفهوم الدين عند الشيخ:

المراد به تعيين الخصائص التي لابد لكل دين منها، والتي لا يسمى الدين ديناً إلا بها، والبحث في تعريف الدين مرتبط بالبحث في أصل الدين؛ فإن حقيقة الشيء هي العناصر المكونة له في أبسط

---

(١) العلم: هو الإدراك مطلقاً تصوراً كان أو تصديقاً، يقينياً أو غير يقيني، وقد يطلق على التعقل أو على حصول صورة الشيء في الذهن، أو على الاعتقاد الجازم المطابق للواقع، أو على إدراك حقائق الأشياء. فالعلم مجموعة من المعارف والحقائق التي تشتمل العلوم كلها الطبيعية والإنسانية والاجتماعية. ينظر: المعجم الفلسفي: جميل صليبا (ج٢/ ١٩٩) الشركة العالمية للكتاب: ١٩٩٤م.

(٢) الدين: هو الإيمان بذات إلهية، جدير بالطاعة والعبادة، أو هو جملة النواميس النظرية التي تحدد صفات تلك القوة الإلهية، وجملة القواعد العلمية التي ترسم طريق عبادتها، فالدين هو ما بني على الوحي، هو الدين والشريعة، والعلم: القواعد والقوانين التي قامت على الملاحظة والتجربة والاستقراء. ينظر: بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان: د. محمد عبد الله دراز (ص: ٥٢) دار القلم بالكويت.

مظاهره، وقد ذكر الشيخ جهود الباحثين المتواصلة في تعريف أصل الدين، ثم وضع تعريفًا جامعًا مانعًا لمعنى الدين؛ فبدأ الشيخ بذكر معنى الكلمة الأوروبية الدالة على الدين وهى "رلجيون" religion والتي تفيد معنى الربط الشامل، ربط الناس ببعض الأعمال من جهة التزامهم بها وفرضها عليهم، وربط الناس بعضهم ببعض، وربط البشر بالإله وهو الشعور بحق الإله مع الخشية والإجلال"[١].

إذاً: كلمة الدين في اللغات الأوروبية لا تنفصل عن معنى الطائفة أو الجماعة، فهو ليس عقيدة فرد واحد فقط، بل هو دين الجماعة، وبه يصبح أفراد الجماعة ملتزمين بتلك العبادات وهذا الدين، ثم ذكر الشيخ أصل الدين عند علماء النفس والاجتماع أنه: "شعور الإنسان بأنه تابع لغيره وليس مستقلاً، أو ما يلقى في ورع الإنسان بالفطرة من وجود لا يتناهى، وينبعث من نزوع الزهد في الدنيا"[٢].

ثم توصل الشيخ أن العلم لم يكشف الحجب عن الدين وأسراره ومن غرور العقل البشري أن يزعم لنفسه القدرة على هدم بناء متين متغلغل الأسس في الفطرة الإنسانية من قبل أن يعرف مواد هذا البناء، أو يعرف كيف تم بناؤه[٣]، ثم تناول الشيخ الدين في نظر الإسلام: بأن كلمة "دِين" مستعملة في لغة العرب لمعانٍ مختلفة منها: الطاعة والحساب والجزاء، ومنها القضاء والحكم، ومنها الحال والعادة، وقد ذكر القرآن الكريم الدين بالمعاني المعروفة عند العرب وفق استعمالهم والمراد به: الملة، وذكر الشيخ أن أسلم الآراء هو ما يدل عليه كلام "الراغب الأصفهاني" إن الدين بمعنى الجزاء أو الطاعة أو الملة، وارتباط الدين بالملة أي بالمجتمع أكثر أصالة ودلالة على معناه الحقيقي من

(١) الدين والوحي والإسلام: مصطفى عبد الرازق (ص: ١٤) مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة: ٢٠١٢م.

(٢) الدين والوحي والإسلام (ص: ١٥) مصطفى عبد الرازق.

(٣) المرجع السابق (ص: ٢٠).

ارتباطه بالجزاء والطاعة؛ وذلك لأن الطاعة تستلزم أمراً مطاعًا وأمراً يطاع، وكذلك الجزاء والحساب يستدعيان مُجازِيًا مُحاسِبًا [١].

ثم تطرّق الشيخ للحديث عن الأديان التي عرفها العرب في الجاهلية التي تسمى على لسانهم دينًا من غير شك ما ينكر الإله القادر وينكر الحساب والجزاء، من خلال إشارة القرآن إليها قال تعالى: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ [٢]، على هذا فالدين مرتبط في أساسه بالمجتمع.

بعد ذكر تلك التعريفات وضع الشيخ تعريفاً جامعاً مانعاً لمفهوم الدين: أن الدين هو الإيمان بأن الموجودات كلها ليست من نوع واحد ولا في مرتبة واحدة، بل بعضها أسمى من سائر الأنواع، أو هو الإيمان بذلك بشرط أن يكون ملة تجتمع على الأخذ بها أمة من الناس [٣]، إذاً الدين مرتبط بالمجتمع ارتباطًا وثيقًا، ولكن ارتباط الدين بالوحى أمر مهم جداً لا يجب إغفاله فأساس الدين هو "الوحي"، فالدين ينبغي أن يكون موحى به، إذاً هناك معنى خاص للدين: وهو الذي قرره القرآن الكريم: باعتباره وحيًا من الله إلى أنبيائه لهداية الناس أصولاً جعلت للدين معنًا شرعيًا خاصًا، فالدين لا يكون إلا وحيًا من الله إلى أنبيائه الذين يختارهم من عباده ويرسلهم أئمة يهدون بأمر الله [٤]. قال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٖ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٞ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ ﴾ [٥]، ويقول الشيخ: "الدين لا يكون إلا وحيًا من الله إلى أنبيائه الذين يختارهم من عباده ويرسلهم أئمة يهدون بأمر الله وذلك

(١) الدين والوحي والإسلام (ص: ٢٦)، والشيخ مصطفى عبد الرازق مفكراً وأديبًا ومصلحًا (ص: ٥٤، ٥٥).

(٢) سورة الكافرون الآية (٦).

(٣) الدين والوحي والإسلام: مصطفى عبد الرازق (ص: ٢٥).

(٤) المرجع السابق (ص: ٢٥)، والمفكر الإسلامي المعاصر مصطفى عبد الرازق: علي عبد الفتاح (ص: ٥٣).

(٥) سورة الرعد الآية (٣٠).

مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ﴾[١] والمراد: شرع الله لكم يا أصحاب محمد من الدين ما وصى به نوحًا، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمداً، وخص هؤلاء الأنبياء الخمسة بالذكر؛ لأنهم أكابر الأنبياء وأصحاب الشرائع العظيمة والأتباع الكثيرة[٢]، وبالبحث والاستقراء نجد أن الشيخ توصّل إلى أنّ معنى الدين من الناحية الاشتقاقية يتميز بأنه مرتبط بالمجتمع، ومن الناحية الدينية هو الموحى به، والدين المنزّل هو دين التوحيد وهو: خلوص السريرة للحق وقيام النفس بصالح الأعمال [٣]، إذاً ربط الشيخ الدين في أصالته "بالوحي من عند الله" وبين وجود المجتمع؛ لذلك تم للإنسان بمقتضى دينه أمران عظيمان طالما حرم منهما وهما استقلال الإرادة واستقلال الرأي والفكر، وبهما كملت له إنسانيته، واستعد لأن يبلغ من السعادة ما هيأه الله له بحكم الفطرة التي فطر عليها [٤].

ويتضح من خلال ذلك أن: الفكر الإصلاحي للشيخ متأثراً بالإمام محمد عبده في تعريف الدين فما أقره الشيخ هو عين ما قاله الإمام محمد عبده في "رسالة التوحيد"[٥]، أضف إلى ذلك أنّ ربط الدين بالمجتمع هو عين ما دعا إليه الذكر الحكيم في كثير من آياته، فهو عين صلاح المجتمع منعًا للهرج والمرج، قال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ

(١) سورة الشورى الآية (١٣).

(٢) مفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي (ج٢٧/ ١٣٤).

(٣) الدين والوحي والإسلام: مصطفى عبد الرازق (ص: ٣٤).

(٤) من آثار مصطفى عبد الرازق (ص: ٥٠١، ٥٠٢).

(٥) رسالة التوحيد محمد عبده بن حسن خير الله.ت: ١٣٢٣ هـ (ص: ٨٣) دار الكتاب العربي.

شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ (١)، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۖ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ (٢).

ثانياً: بيان العلاقة بين الدين والفلسفة (النقل والعقل):

لبيان هذه العلاقة تناول الشيخ أقوال الفلاسفة حول هذه المسألة فبين أهمية هذا الموضوع إيجابًا وسلبًا، فهو من ناحية يعد مناط ابتكار فلاسفة الإسلام، وعند آخرين كان سببًا في انقلاب البعض والبعد عن دراسة الفلسفة، فتوصل الشيخ بفكره الإصلاحي إلى ما يلي:

* بدأ الشيخ بعرض آراء فلاسفة الإسلام في الدين الذين حاولوا التوفيق بين الشريعة والحكمة (٣) بأسلوب بسيط غير عنيف، ثم كشف بعد ذلك عن رأي علماء الدين في الفلسفة، وتوصل إلى أن منزع الدينيين غير منزع الفلاسفة فهم في الغالب أكثر خصومًا للفلسفة في غير هوادة ولا رفق. يقول الشيخ: "أما علماء الدين فمنزعهم غير ذلك المنزع، وهم في أكثر الأمر خصوم للفلسفة من غير هوادة ولا رفق؛ لأن بعض الدينيين ممن كان للفلسفة في عقولهم أثر لا يخلو طعنهم على الحكمة من رفق" (٤)، أضف إلى ذلك جعل جهود الإسلاميين قاصرة على أن تكون منهج تاريخي فاهتمامهم

---

(١) سورة المائدة: الآية (٢).

(٢) سورة الأنعام: الآية (١٥٢).

(٣) الحكمة: هي المعرفة بالله، التي تتضمن المعرفة بالخير والعمل به، والقدماء والإسلاميون كانوا يطلقون على كل فيلسوف عدة أوصاف، فيقولون عن الكندي مثلاً كان طبيبًا، ومهندسًا، وفلكيًا، ورياضيًا، وفيلسوفًا، ويعنون بكلمة فيلسوف شيئًا آخر غير الباحث في الرياضة والفلك والهندسة، وأنهم يعنون الباحث في الأخلاق، وعلى الخصوص الباحث في الإلهيات، إذاً المعرفة بالله، طريقها الفلسفة، والفلسفة إيثار الحكمة، أو حب الحكمة أي الجهد المتواصل للوصول إلى معرفة الله ﷻ. التفكير الفلسفي في الإسلام: د. عبد الحليم محمود (ص: ١٦٩).

(٤) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية (ص: ١٢٧).

في الغالب ينصرف إلى "بيان نسبة هذه الفلسفة إلى العلوم الشرعية وحكم الشرع فيها، ورد ما يعتبر معارضاً للدين منها" [١]، **من خلال تحليل أقوال الشيخ** وانطلاقاً من كون الفلسفة محور عقلي تعد كل هذه الأمور مظهر تعسفي؛ لأنهم يدّعون التقليد والتبعية للفلسفة الإسلامية، وأغلب هؤلاء ليسوا فلاسفة، حيث كتبوا عنها أنها مجرد تقليد، أو تلقين، أو ترجمة للفلسفة اليونانية، وعلى الرغم من ذلك أقر الشيخ بفضل تلك الجهود، ولم يجحد أهمية ما قدّمته من نفع علمي للدارسين، رغم ما فيها من تسرع في الحكم على أصالة التفكير الفلسفي، فقام الشيخ بعرض منهجه الفكري الإصلاحي والتجديدي في دراسة الفكر الفلسفي ساعياً إلى التأكيد على أصالة الفلسفة الإسلامية، وذلك من خلال الحديث عن عرب الجاهلية واستعدادهم للتفكير الفلسفي، والنظر العقلي، وأقوال فلاسفة الإسلام حول القضية، فخاض العقل العربي التفكير في كثير من المجالات، مما يعد نواة أصيلة لنشأة التفكير الفلسفي، ثم جادل في الدين وما يتصل به من العقائد، والجدال في العقائد الذي من شأنه أن يدعو إلى التفكير والتفلسف، والتفكير ما هو إلا استعمال العقل، فالموازنة بين الأديان والمذاهب تدعو إلى التشكيك أيضاً، أضف إلى ذلك جانب التفكير والتشكيك في عقول نفر من ذوي العقول الراجحة للوصول إلى الدين الحق، كل هذا ساعد على تكون التفكير الفلسفي[٢]. يقول الشيخ: "كل ذلك يدل على أن العرب عند ظهور الإسلام كانوا يتشبثون بأنواع من النظر العقلي تشبه أن تكون من أبحاث الفلسفة العلمية؛ لاتصالها بما وراء الطبيعة من الألوهية، وقدم العالم، أو حدوثه، والملائكة، والبعث ونحو ذلك" [٣]. ومن ثم أثبت الشيخ أنّ العقلية العربية قبل الإسلام كان لديها

---

(١) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية (ص: ٩٨).

(٢) المرجع السابق (ص: ١٠٤).

(٣) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية (ص: ١٠٥)، شيخنا الأكبر أستاذاً للفلسفة الإسلامية: توفيق الطويل بكتاب المجلس الأعلى للثقافة (ص: ١٨، ٢٢)، والشيخ مصطفى عبد الرازق ومذكراته: أحمد زكريا (ص: ٤٩).

فكر ديني، وعقلي، وروحي، ولديها الاستعداد للتفلسف، ولكنها كانت في حاجة إلى عقيدة من السماء، وبالفعل قام القرآن الكريم بذلك فأفسح المجال أمام العقل، وحثه على التفكر والتدبر والتأمل في ظواهر الكون، وفي أحوال النفس، وخفايا الوجود، ثم ظهرت الأحزاب الدينية والفلسفية التي كان لها عظيم الأثر في إثبات أصالة الفلسفة الإسلامية.

ثم خالف الشيخ قول ابن حزم الأندلسي المتوفى سنة (٤٥٦هـ- ١٠٦٣م) أن الفلسفة على الحقيقة إنما معناها وثمرتها والغرض المقصود من تعلمها ليس هو شيئًا غير إصلاح النفس بأن تستعمل في دنياها الفضائل وحسن السيرة المؤدية إلى سلامتها في المعاد وحسن السياسة للمنزل والرعية، وهذا نفسه لا غيره هو الغرض في الشريعة، هذا ما لا خلاف فيه بين أحد من العلماء بالفلسفة ولا بين أحد من العلماء بالشريعة [١]؛ فقام الشيخ بنقد ذلك لأنه يخالف القول بأن من حق الفلسفة أن تُتخذ نصيراً للدين ووسيلة إلى تأييده؛ لأن ذلك ضاراً بالدين والفلسفة جميعًا وأقصى ما يمكن أن يجمع بين الدين والفلسفة هو أن يتعاونا على إسعاد الإنسانية، فالفلسفة لا تعادي الدين ولكنها لا تخدمه، فقال: "إن غرض الشريعة والفلسفة جميعًا ليست دعوى مسلّمة؛ لأن معنى هذا أن غرض الفلسفة والشريعة غرض عملي، وليس ذلك بمذهب الفلاسفة ولا هو مذهب الدينيين" [٢]، وإنما ذهب بالإقرار بتشابه غاية الدين وغاية الفلسفة، فكلاهما يرمي إلى تحقيق السعادة من طريق الاعتقاد الحق وعمل الخير [٣].

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل: ابن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت: ٤٥٦ هـ)(ج١/ ٧٩) مكتبة الخانجي – القاهرة.

(٢) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية: الشيخ مصطفى عبد الرازق (ص: ١٢٢)، والدين والوحي والإسلام: مصطفى عبد الرازق (ص: ٢٩).

(٣) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية (ص: ١٢٣).

ثم رفض الشيخ أن تكون موضوعات الدين وموضوعات الفلسفة واحدة، كما ذهب الفارابي[١] بقوله: "الملة محاكيه للفلسفة عندهم، وهما تشتملان على موضوعات بأعيانها ..."[٢] والدين والحكمة عند الفلاسفة يفيض عن واجب الوجوب على عقول البشر بواسطة العقل الفعال، فلا فرق إذاً بين الحكمة والدين من جهة غايتهما، ولا من جهة موضوعهما، ولا من جهة مصدرهما. وطريق الوصول إلى الإنسان، والفرق بين الفلسفة والدين عند الفارابي أن الفلسفة يقينية، أما الدين إقناعي، والفلسفة تعطي حقائق الأشياء، ولا يعطي الدين إلا تمثيلاً لها وتخييلاً[٣]، أما ابن سينا فقد بيّن أن وجهة الدين عملية، ووجهة الفلسفة نظرية [٤]، ولكن الشيخ وضح رأيه في بيان العلاقة بين الدين والفلسفة: بقوله: "إذا كان الفلاسفة يحاولون غالبًا التوفيق بين الشريعة والحكمة في أسلوب ليس فيه عنف ولا نزوع إلى كبرياء، فإن لبعضهم أساليب تكاد تكون مهاجمة للدينيين أو دفاعًا لعنف، ولابد من التفرقة بين طبيعة الدين وطبيعة الفلسفة، فالدين قائم على الإيمان والتصديق من القلب، أما طبيعة الفلسفة تقوم على النظر والفكر وإعمال العقل"[٥]، ويرفض أن يكون حق الفلسفة أن تتخذ نصيراً للدين ووسيلة إلى تأييده فإن ذلك ضار بالدين والفلسفة جميعًا، أما ضرره بالدين فلأنه يعرض عقائده الدينية القدسية تتأثر بها النفس والعواطف، كما تتأثر بلهجة الجدال لمناقشات

(١) الفارابي: (٢٦٠هـ-٣٣٩هـ)محمد بن محمد بن طرخان المعروف بأبي نصر الفارابي فيلسوف منطقي موسيقي، لقب بفيلسوف الإسلام ولد في بلده وسيج بالقرب من بلده فاراب التي ينسب إليها، من مؤلفاته: إحصاء العلوم والتعريف بأغراضها، آراء أهل المدينة الفاضلة، ورسالة في الجمع بين رأي الحكيمين أفلاطون وأرسطو. ينظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ابن أبي أصيبعة ت: ٦٦٨هـ (ج١/ ٦٠٥) تحقيق: نزار رضا. دار مكتبة الحياة -بيروت.

(٢) تحصيل السعادة: الفارابي (ص: ٨٩) دار ومكتبة الهلال: ط١/ ١٩٩٥م.

(٣) المرجع السابق (ص: ٤٠).

(٤) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية (ص: ١٢٣)، والدين والوحي والإسلام: مصطفى عبد الرازق (ص: ٣٠).

(٥) المرجع السابق (ص: ٨١).

العقل ومناقضاته، وأما ضرره بالفلسفة فلأنه يحدد لمقدماتها نتائج تقليدية، ويجعل بحثها عن الحقائق موجهـًا إلى غاية هي تأييد الدين فتأخذ هي أيضـًا شكلاً دينيـًا مقدسـًا لا يتناسب مع حرية البحث والنقد [١].

* **ولا يدل ذلك أن الشيخ يرى تعارضاً بين الفلسفة والدين**؛ بل يرى ضرورة اتفاقهما وتعاونهما لتحقيق سعادة الإنسان، ولكن لهما طريقان متمايزان يتفقان في الغاية، ويتعاونان على تحقيقها، ولكن طريق الدين القلب، وطريق الفلسفة العقل، فيقول موضحـًا تلك العلاقة: "إن أقصى أماني الدين والفلسفة أن يتعاونا على إسعاد الإنسان: هذا من طريق القلب والعواطف، وهذا من طريق العلم والنظر لا أن يتلاقيا في ميدان واحد وجهـًا لوجه، ما كانت الفلسفة لتعادي الدين ولكنها لا تخدمه"[٢]، إذاً لا تعارض بين الدين والفلسفة، طالما أنهما يتعاونان على تحقيق غاية وهدف واحد، وهو تحقيق السعادة الإنسانية.

ثالثاً: بيان دور العقل في الدين:

لم يرى الشيخ تعارضـًا بين الدين والعقل فغايتهما واحدة وهى إسعاد الإنسانية أيضـًا، وأثبت الشيخ أنه ليس ثمة عقيدة تقوم على احترام العقل الإنساني، وتعتز به، وتعتمد عليه كالعقيدة الإسلامية، وليس ثمة كتاب أطلق سراح العقل، وبيّن قيمته، وكرامته كالقرآن الكريم؛ بل إن القرآن الكريم ليكثر من استشارة العقل ليؤدي دوره الذي خلقه الله له؛ لذا تجد قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ

(١) من آثار مصطفى عبد الرازق: علي عبد الرازق و د: طه حسين (ص: ١٢٥) دار المعارف ١٩٥٧م.

(٢) المرجع السابق (ص: ١٢٥).

تَعْقِلُونَ ﴾[١]، ﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [٢]، ﴿لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ [٣]، ونحوها من العقل ومشتقاته التي تتكرر سبعين مرة؛ لتؤكد أن المنهج القرآني قائم على احترام العقل، وأثبت الدين مكانة العقل واهتمامه به، وفيما يلي بيان ذلك: يقول الشيخ: "ورد في الكتاب والسنة الثناء على الحكمة والحكم، والتنويه بفضلهما، فمهد بذلك لانتعاش النظر العقلي في الشؤون العلمية، ووجدت الحاجة إلى هذا النظر في استنباط الأحكام للوقائع المتجددة التي لم يكن من الممكن أن تحيط بها النصوص" [٤]، ثم ذكر أن استعمال كلمة "حكمة" في القرآن والسنة يدل على أن المراد بها العلم الذى يتحصل بالعمل، **أضف إلى ذلك** أن للعقل دوراً في الدين، ويرى أن مجال العقل خاص بالشرائع العملية؛ إنما هو إبعاد العقل عن الجدل في الأمور الاعتقادية التي تقوم على التسليم لا على الجدل، ولا سبيل له إلى معرفتها معرفة كاملة وإدراك حقيقتها، وليس هذا إنكار لعمل العقل، أو أن الدين خال من العقل، بل إن العقل باستطاعته أن يعلم بضرورة الدين، وبوجود موجود كامل أبدي ليست له حدود، ولا يحيط به إدراك العقل المحدود، فالدين قائم على التصديق والتسليم، لا يخلو من معرفة وعلم، والعقل هو الطريق إلى معرفة الدين [٥]، **يستنبط من ذلك أن:** الشيخ يجعل للعقل حدودًا، فالدين يحترم العقل الإنساني، ويجعل له مكانةً عاليةً؛ لأن أساس العقيدة قائم على احترام العقل، ولكن في مجالات محدودة، فهو عاجز عن الوصول لليقين في كثير من مسائل الدين. قال تعالى: ﴿ أَفَلَا

(١) سورة البقرة جزء من الآية: ٧٣.

(٢) سورة الرعد جزء من الآية: ٣.

(٣) سورة الأنعام جزء من الآية: ٩٨.

(٤) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية (ص: ١٢٢).

(٥) المرجع السابق (ص: ١١٩)، من آثار مصطفى عبد الرازق (ص: ٥٠١).

يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾[1]، فالدين أعطى للعقل قدرة حينما أعانه على وظيفته الفكرية، والدين عندما دعا الإنسان حرك فيه عقله، وأعانه على أن يفكر، وبالرغم من دعوة الدين إلى استخدام العقل وتوقيره، إلا أنه لم يطلق له العنان، وإنما حد له حدوداً لا يتخطاها، مخافة الوقوع في الضلال أو مجانبة الصواب.

والإسلام جمع بين الدين والشريعة، أما الدين فقد استوفاه الله -ﷻ- كله في القرآن الكريم، ولم يكل الناس إلى عقولهم في شيء منه، وأما الشريعة فقد استوفى أصولها ثم ترك للنظر الاجتهادي تفاصيلها[2]، "فهناك مشكلات قد تخص عقل المسلم دون أن يطلق عليه فيلسوف، كقضية الاجتهاد والتأويل، ولقد تميزت جماعة من المسلمين بالرأي والاجتهاد والجرأة في طرح المشاكل، وكانوا أبعد ما يكونون عن نطاق الفلسفة - بمعناها الاصطلاحي -، وهناك الغزالي[3] الذي قيل فيه أنه دخل بطن الفلسفة، ولم يخرج منها ارتضى لنفسه ألقابًا كثيرة ليس منها لقب فيلسوف، قد يقال إنه تحاشاه لعدم أصالته الإسلامية والعربية" [4]، ثم نهى الشيخ المسلمين عن الجدل في الأمور الاعتقادية إلا عند الحاجة، وعلى مقدارها من غير أن يشجع المسلمين على المضي فيه، والأخذ برفق عند الحاجة إلى الجدل. يقول الشيخ: "من أسمى فضائل الدين الجدال بالحكمة والموعظة الحسنة والبعد عن

---

(١) سورة النساء الآية (٨٢).

(٢) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية (ص: ١١٤).

(٣) الغزالي: (٤٥٠هـ- ٥٠٥هـ) محمد بن محمد بن محمد الغَزَالي الطوسي، أبو حامد، حجة الإسلام: فيلسوف، متصوف، له نحو مئتي مصنف، وتوفي في الطابران، نسبته إلى صناعة الغزل عند من يقوله بتشديد الزاي أو إلى غَزَالة من قرى طوس لمن قال بالتخفيف، من كتبه: إحياء علوم الدين، وتهافت الفلاسفة، والاقتصاد في الاعتقاد، وغيرها. سير أعلام النبلاء لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن قَايْماز الذهبي ت: ٧٤٨هـ.(ج١٩/ ٣٢٢:٣٤٣) دار الحديث -القاهرة: ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، والأعلام للزركلي (ج٧/ ٢٢).

(٤) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية: مصطفى عبد الرزاق (ص: ١٨٥).

التكفير وخصوصاً في مقام البحث والنظر، وإن الذين يخدمون الحرية الفكرية هم خادمي الحق وأنصاره، فإن العقول المستعبدة لا تسمو إلى جلال الحقيقة وجمالها، وإن الذين يفكون العقول من أغلالها إنما يمهدون لها السبيل إلى الحق، والدين من أسمى الحقائق في هذا الوجود" (١).

تعقيب: يتضح مما سبق أن:

- توصل الشيخ إلى أن الاجتهاد بالرأي في الأحكام يمثل النظر العقلي عند المسلمين، والعقل عند المسلمين رافد أو وسيلة إجلاء بدليل «أن الرسول ﷺ - حينما بعث معاذ إلى اليمن قال له: كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟ قال: أقضي بكتاب الله، قال: فإن لم تجد في كتاب الله؟ قال: أقضي بسنة رسول الله ﷺ -، قال: فإن لم تجد في سنة رسول الله ﷺ -؟، قال: اجتهد برأيي ولا آلو، قال: فضرب بيده في صدره، وقال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله»(٢).

- قضية العقل والنقل، تختلف قليلاً عن قضية الدين والفلسفة من حيث المشكلات التي تتناولها، وهذا لا يعني أن الفلسفة تقف أمامها طويلاً بينما هي من مهام العقل كقضية الاجتهاد وقضية التأويل، فهذه مشكلات قد لا تحرص عليها الفلسفة من حيث مدلولها الاصطلاحي، أما في المقابل نجد الفلسفة تحرص على إثارة قضايا لا يأبه لها العقل مثل: قضية العقول العشرة، قضية المحرك الأول للعالم، وغيرها.

---

(١) من آثار مصطفى عبد الرازق (ص: ٥٠١، ٥٠٢)، الحكمة: وهي البراهين القاطعة واستعمالها على وجوهها، والموعظة الحسنة: وهي الأمور المفيدة المرققة للقلوب المنورة للصدور، والمجادلة التي هي على أحسن الطرق فأتى بها وعجز الكل عن معارضته.ينظر: مفاتيح الغيب: أبو عبد الله محمد الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري ت: ٦٠٦ ﻫ (ج٢٩/ ٤٢٥) دار إحياء التراث العربي – بيروت: ط٣/ ١٤٢٠هـ.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه باب الأحكام باب ما جاء في القاضي كيف يقضي. رقم الحديث ١٣٢٧ . ينظر: كتاب سنن الترمذي ت: ٢٧٩ه (ج٣/ ٦٠٨) تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي. مكتبة مصطفى البابلي الحلبي مصر: ط٢/ ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م، وقال هذا الحديث إسناده غير متصل.

- الشيخ يحترم ويعترف بمكانة دور العقل في مجال العقيدة والفكر الإسلامي، ولكن في حدود الاستسلام والانقياد والامتثال للشرع الصريح، والدليل عند الشيخ على أن الدين يحترم العقل ويحترم حريته قوله: "قد تنبهت العقول وزالت غشاوة الغفلة عن بصائر الناس ففهموا أن الدين ليس غلاً للقلوب ولا قيداً للأفكار، ولكن الدين كما يقول الشيخ محمد عبده: "كفل للإنسان أمرين عظمين طالما حرم منهما، وهما استقلال الإرادة، واستقلال الرأي والفكر وبهما كملت إنسانيته، واستعد أن يبلغ من السعادة ما هيأه الله له"" [(١)]، إذاً هناك علاقة وثيقة بينهما، فالعقل له دور في مجال النقل، **وهذا الدور يتضح من خلال أقوال الكثير من العلماء، منها ما يلي:**

* العقل لن يُهتدَى إليه إلا بالشرع، والشرع لا يتبيّن إلا بالعقل، فالعقل كالأساس، والشرع كالبناء، ولن يغني أساس ما لم يكن بناء، ولن يثبت بناء ما لم يكن أساس، فالعقل كالبصر، والشرع كالشعاع، ولن يغني البصر ما لم يكن شعاعًا ما خارج، ولن يغني الشعاع ما لم يكن بصرٌ.

* العقل غريزة في النفس وقوة فيها بمنزلة قوة البصر، فإذا اتصل به نور الإيمان والقرآن، كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس.

* الشرع عقل من الخارج، والعقل شرع من الداخل، وهما متحدان، فالعقل لا يكاد يتوصل إلى معرفة كليات الشيء، والشرع يعرف كليات الشيء وجزئياته، فالعقل لا يهتدي إلى تفاصيل الشرعيات، والشرع تارة يأتي بتقرير ما استقر عليه العقل، وتارة بالتذكير، وأخرى بالتعليم، وذلك في الشرعيات [(٢)]، إذاً الدين لا يعارض العلم، بل يدعو إليه، ويحث عليه، بل إن الدين صديق للعقل والعلم معًا.

---

(١) رسالة التوحيد: الإمام محمد عبده (ص: ٨٣)، ومن آثار مصطفى عبد الرازق (ص: ٥٠١).

(٢) معارج القدس في مدارج معرفة النفس: أبو حامد الغزالي (ص: ٧٤) مؤسسة هنداوي سي آي سي بتاريخ:٢٦/ ١/ ٢٠١٧م، والحقيقة في نظر الغزالي: د. سليمان دنيا (ص: ٢٨٠) دار المعارف بالقاهرة: ط٤/ ١٩٧١م.

رابعاً: تناول الشيخ ظاهرة الوحي.

بيّن الشيخ أن الأصل اللغوي للوحي يدور حول الإسرار والإعلام في خفاء، وأصل مادة الوحي هو الإلهام بمعنى السرعة؛ لأن الوحي يأتي بسرعة ويتلقى بسرعة، وهو السرعة والخفاء معـًا؛ فالوحي هو الإعلام السريع الخفي، وهو إلقاء الشيء إلى الغير؛ فأصل الإيحاء إلقاء الوحي إلى الموحى إليه ومعناه في القرآن: إيحاء الله إلى أنبيائه ورسله، أي إلقاؤه إليهم ما يريد أن يعلموا من المعارف الدينية [١]، والوحي عند فلاسفة الإسلام هو: اتصال النفس الإنسانية بالنفوس الكلية اتصالاً معنويـًا يجعلها تشرف على ما فيها من صور الحوادث فترتسم في النفس البشرية من تلك الصور ما يُستعد لارتسامه فيها كمرآة يحاذي بها مرآة أخرى، بها نقوش، فينعكس منها إلى الأولى ما يقابلها، والوحي يكون للنبي، والإلهام يكون للولي، والوحي عند الصوفية هو: تلقي النبي للشرائع الإلهية بواسطة مَلك [٢]، **وعرف الشيخ الوحي بأنه**: عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من فعل الله بواسطة أو بغير واسطة، والأول بصوت يتمثل بسمعه أو بغير صوت [٣]، يتضح من خلال هذا التعريف أن الشيخ اتبع الإمام محمد عبده في فكره الإصلاحي وخصوصـًا في تعريف الوحي كما جاء في كتاب الإمام "رسالة التوحيد" [٤].

ومثال للدين القائم على الوحي "الإسلام" فبدأ الشيخ في تعريف الإسلام: بذكر آراء المفسرين والمتكلمين واللغويين في تعريف الإسلام وهو: الدخول في السلم والانقياد أو المتابعة

---

(١) الدين والوحي والإسلام: مصطفى عبد الرازق (ص: ٣٦)، والمفكر الإسلامي المعاصر مصطفى عبد الرازق: د. علي عبد الفتاح (ص: ٥٤).

(٢) المرجع السابق (ص: ٧١، ٧٦)، والمفكر الإسلامي المعاصر مصطفى عبد الرازق (ص: ٥٥).

(٣) الدين والوحي والإسلام (ص: ٨٠)، والمفكر الإسلامي المعاصر مصطفى عبد الرازق (ص: ٥٥).

(٤) رسالة التوحيد: الإمام محمد عبده (ص: ٥٧).

وإخلاص الدين والعقيدة لله تعالى، من أسلم أي دخل في السلم، وأصل السلم السلامة، ثم قال أن: "إجماع المفسرين على استعمال الإسلام في معنى أسلم أي دخل في السلم فغير صحيح لكل مطلع على التفاسير المختلفة للقرآن الكريم، ثم ذكر آراء بعض المحدثين من المستشرقين وهم يرون أن: اسم "الإسلام" يرجع إلى معنى من الطاعة والخضوع الغير إرادي، أي التسخير لإرادة قاهرة، أو هو: تحري الرشد وتزكية النفس وذلك يعني الطاعة الإرادية وليس الانقياد الأعمى، وما ورد في القرآن من لفظ إسلام وما اشتق منه يؤديان معنى الانقياد الظاهر والطاعة بالجوارح فقط.

وعقب الشيخ على تلك الآراء بالرفض؛ لأنها لا تقوم على أساس؛ لأن ما ذكر في القرآن من لفظ "الإسلام" وما اشتق منه مقابلاً للإيمان ومخالفًا له – بحيث يدل الإسلام على العمل الظاهر والإيمان على التصديق – لا يعدو ثلاث آيات أو أربع آيات [١].

قول الشيخ في معنى الإسلام: المعاني اللغوية من مادة "سلم" على اختلاف ألفاظها وصيغها، والمعاني الحقيقية المتولدة عنها تعني: الخلوص من الشوائب الظاهرة والباطنة، والصلح والأمانة، والطاعة والإذعان، والخلوص والسلامة من المكاره والآفات، وفعل "أسلم" يدل على الدخول في السلم بمعنى الطاعة، ومعنى الإسلام صالح للدلالة على كل هذه المعاني السابقة، والمعنى الشرعي واحد وهو: التوحيد وإخلاص النفس لله وحده لا يكون فيها لغيره شريك يعبد [٢].

يستنبط من خلال ما سبق أن: المعنى الشرعي للإسلام وهو: التوحيد وإخلاص النفس لله وحده لا يكون فيها لغيره شريك يعبد، دل عليه المعنى اللغوي للكلمة وهو: الخلوص والسلامة، وقول الشيخ عن الإسلام يميل في تعريفه إلى إطار صوفي، فالتوحيد: سر، وهو تنزيه الحق عن دركه،

---

(١) الدين والوحي والإسلام: مصطفى عبد الرازق (ص: ٦٣- ٦٩)، والمفكر الإسلامي المعاصر مصطفى عبد الرازق: د. علي عبد الفتاح (ص: ٥٦).

(٢) الدين والوحي والإسلام (ص: ٦٣- ٦٩)، والمفكر الإسلامي المعاصر مصطفى عبد الرازق (ص: ٥٦).

والمعرفة بر وهو أن تعرفه بصفاته، والإيمان عقد القلب بحفظ السر ومعرفة البر، والإسلام: مشاهدة قيام الحق بكل ما أنت به مطالب[١].

ثم بين الشيخ العلاقة بين الإيمان والإسلام على أنها في الحقيقة من اختلاف الفرق الإسلامية، والتماسها دقائق البحث اندفاعًا وراء جموح النظر، فهو مصطنع اصطناعًا [٢]؛ لأنه يرى أن الفرق أخطأوا عندما أرادوا أن يلتمسوا أدلة من القرآن على آرائهم، فانتهوا إلى أن جعلوا للإسلام معانٍ مختلفة عن الإيمان، ولكن الشيخ يرى أن العلاقة بينهم هي **الترادف**؛ لأن القرآن الكريم قرر أن الدين واحد على لسان جميع الأنبياء وهو الإيمان بما يجب الإيمان به، وإنما الاختلاف في الشرائع والأحكام العملية، والقرآن الكريم أيضًا سمّى أتباع دين محمد "الذين ءامنوا" وفى ذلك إشعار بأن معنى الإيمان والإسلام واحد، وتفسير الآيات التي ورددت فيها صيغة الإسلام تدل على أن الإسلام هو التوحيد وإسلام الوجه لله وهذا يعني أن الإسلام مرادفًا للإيمان [٣].

وأرجع الشيخ اتفاق الإيمان والإسلام إلى رأي كثير من أهل السنة وخاصة أبو منصور الماتريدي [٤].

---

(١) التعريف لمذاهب أهل التصوف: الإمام أبو بكر محمد بن إسحاق الكلاباذي (ص: ١٩٥) بيروت: ط١/ ١٤٣٤.

(٢) الدين والوحي والإسلام (ص: ٩٤).

(٣) المرجع السابق (ص: ٩٦- ١٠٠).

(٤) أبو منصور الماتريدي: محمد بن محمد بن محمود، من أئمة علماء الكلام، وإمام أهل السنة، والماتريدي نسبة إلى تريد محله بسمرقند من مؤلفاته: التوحيد، وأوهام المعتزلة، والرد على القرامطة وغيرها. ينظر: الأعلام: الزركلي (ج٧/ ١٩). يراجع: التوحيد: الماتريدي (ص: ٣٩٣) تحقيق: فتح الله خليف. دار الجامعات المصرية بالإسكندرية. الإسلام والإيمان إنهما إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا، أي إذا اجتمع اللفظان في نص واحد، افترق معناهما، فكان الإسلام هو الأعمال الظاهرة، والإيمان هو الإذعان والاعتقاد الباطني بأركان الإيمان الستة، وإذا جاء أحدهما دون الآخر، شمل معنى الآخر. عقيدتنا: د. محمد ربيع الجوهري (ص: ٥٠) ط٢/ ٢٠١٧.

تعقيب:

بعد عرض هذه القضية يظهر اهتمام الشيخ بالفكر الإصلاحي الديني، وأستنبط من خلال ذلك تحرير الفكر من التقليد، وفهم الدين فهمًا صحيحًا، الدين من موازين العقل وهو صديق العلم، والدين لا يعارض الحياة، ولم يكن داعيًا للآخرة فحسب؛ بل تعاليمه تؤكد على الموازنة بين مطالب الدنيا والآخرة.

وبتتبع أقوال الشيخ في بيان العلاقة بين الدين والعلم أجد أن الشيخ تناول المسألة في أكثر من موضع بأشكال مختلفة فيقرر أن العقل البشري قد هم بأن يتناول البحث في سر وجود الإنسان يوم كان للدين رقيب عتيد على كل نظر عقلي إلى المعرفة، وهناك تصادم الدين والعقل وانهزم هذا مغلوبًا ثم ظلت تتجدد هذه المنازعات كلما وضع السؤال الذي نحن بصدده موضع مناقشة بين الدينين الذين لا يريدون أن يذهبوا به إلى أبعد من حدود النصوص الدينية وأهل النظر الذين يتركون لعقولهم الحرية في البحث [1]، وفي موضع آخر تناول الشيخ عرض القضية على لسان غيره مثل "إيميل بوترو" في قوله: "رغم تصالح العلم والدين مرة بعد مرة، ورغم جهود أعاظم المفكرين التي بذلوها ملحين في حل هذه المشكلة حلاً عقليًا إلا أن العلم والدين لم يبرحا قائمين على قدم الكفاح، وفى القرن العشرين فلم يعد الصراع راجعًا إلى كونهما مذهبين مختلفين؛ بل للاختلاف بين الروح العلمي والروح الديني إذ ليس يعني العالم أن يكون ما جاء في الدين من عقائد متفقًا مع نتائج العلم"[2].

إن الشيخ لم يقرر إلغاء الدين بالعلم؛ لأنه لا ينكر أهمية العلم بل كان يدعوا إلى ما دعا إليه من قبل وخصوصًا في بيان العلاقة بين الفلسفة والدين (العقل والنقل) إلى استخدام كل منهما في

(١) الدين والوحي والإسلام (ص: ١١).

(٢) من آثار مصطفى عبد الرازق (ص: ١٧٤).

ميدانه وعدم الخروج به عن مجاله، فالدين يناصر العلم، ويحث عليه في جميع الميادين، وفي شتى النواحي الروحية والمادية، فالعلم في الدين أوسع دائرة من أن يكون علمًا دينيًا، إنه العلم بالعالم كله، فقد مَنَّ الله علينا بأن سخر لنا هذا العالم، بل سخر لنا الكون بأكمله. قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾(١)

العلم في الدين شطر الغاية التي من أجلها نزلت الرسالة، أضف إلى ذلك أن الدين نشأ حليفًا للعلم، منذ أن ابتدأ الوحي، والإشادة بالعلم في القرآن والسنة لا يماثلها في سموها وجلالها، والعلم الذي يدعوا إليه القرآن الكريم والسنة الشريفة هو العلم بكل نافع في مجال الكون، وفي مجال ما وراء الكون، في مجال العقائد والأخلاق، وفي مجال الطبيعة.

أراد الشيخ إثبات أن الدين يحث على العلم ويشجعه، مما أدى إلى إنشاء أعظم حضارة عرفتها البشرية، وأن الدين لا يحث على العلم الديني فحسب بل العلم المادي أيضًا، وأن العلم له جوانبه الخاصة بالمادية، ولا ينبغي للعلم أن يتدخل في الأمور الدينية؛ إلا إذا طلب منه ذلك، ولا مجال للعلم في الجانب الروحي، إن العلم في الدين لا يقتصر على الجانب الروحي فقط من العقيدة، والشريعة، والأخلاق، وإنما يشمل الجانب المادي أيضًا، ومن ثم فالصلة بين الدين والعلم هي صلة التوافق والانسجام لا التنازع والخصام.

(١) سورة الأعراف الآية (١٨٥).

المبحث الثاني

الفكر الإصلاحي في الجانب الفلسفي

في "الرد على المستشرقين وبيان أصالة الفلسفة الإسلامية"

دافع الشيخ بقلمه وفكره الإصلاحي واستخدام مناهج جديدة في معالجة القضايا الفلسفية وعرضها عرضًا جديداً كما جاء في كتابه: "تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية" قصد فيه الكشف عن فكر إصلاحي جديد ومنهجًا جديداً في معالجه القضايا الفلسفية، وخصوصًا في الرد على المستشرفين وإثبات أصالة الفلسفة الإسلامية، يقول الشيخ أن: "المزيفون للحقائق في الغرب يقسمون الجنس البشري إلى نوعين كبيرين وهما النوع الآري [١]: يتمثل خير ما يتمثل في أوروبا، وخصوصًا شمالها، والنوع السامي [٢] يتمثل خير ما يتمثل في الشرق الأوسط، وفي الجنس العربي بالذات، ونبتت في القرن التاسع عشر نظرية شعب آري هو أصل للأمم الأوربية ولبعض الأمم الآسيوية، ممن ترجع لغاتهم إلى أصل واحد وهو اللغة السنسكريتية أو غيرها" [٣]، أضف إلى ذلك أنه شاع القول – إبان القرن التاسع عشر – بأنّ الفلسفة اليونانية هي الأساس للفلسفة الإسلامية،

---

(١) الجنس الآري: جنس تجمعه بعض الخصائص اللغوية والجنسية، بعضه في الهند وإيران، وبعضه في أوروبا، والآري: منسوب إلى آريا وهو اسم شعب كان مهده النجد الفارسي من بلاد الأفغان، ثم انحدر فيها حوالي ٢٠٠٠ عام قبل الميلاد إلى الشمال الغربي من الهند. ينظر: معجم الفلاسفة: جورج طرابيشي (ص: ٣٣٩) دار الطليعة – ببيروت: ط٣/ ٢٠٠٦م، تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية (ص: ١٦)، والمعجم الوسيط (ص: ١٥) مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

(٢) السامي: نسبة إلى سام بن نوح عليه السلام على ما جاء في التوراة من أنه كان لنوح أبناء ثلاثة: سام، حام، ويافث. فسام أبو الإسرائيليين، حام أبو الزنوج، ويافث أبو بقية البشر. ينظر: موسوعة الفلسفة: د/ عبد الرحمن بدوي (ج١/ ١٧٧) المؤسسة العربية للدراسات والنشر ببيروت: ط١/ ١٩٨٤م، وتمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية: د/ مصطفى عبد الرازق (ص: ١٥، ١٦).

(٣) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية: د. مصطفى عبد الرازق (ص: ١٦، ١٧).

وتعد أسمى ما وصلت إليه العقلية الآرية في التفكير، وأن الإسلام هو خير ما خلفت العقلية السامية للإنسانية من تراث، وأن بين هاتين العقليتين تعارضـًا حاداً، في جميع العادات والنظم والتقاليد [١] فدافع الشيخ عن أصالة الفلسفة الإسلامية، وأكد على بيان أن المستشرقين يقصدون إلى استخلاص عناصر أجنبية في الفلسفة الإسلامية، ليردوها إلى مصادر غير إسلامية يقول الشيخ: "مما ورد في كتاب رينان[٢] "ابن رشد والرشدية"، ودونية الجنس السامي بالنسبة للجنس الآري كتاب "تاريخ اللغات السامية" يستحيل أن نلتمس عند الجنس السامي دروسـًا فلسفية، ولم يثمر أدنى بحث فلسفي خاص، وما كانت الفلسفة قط عند الساميين إلا اقتباسـًا وتقليداً للفلسفة اليونانية، وأن طابع وخواص النفس السامية في انسياق فطرتها إلى التوحيد من جهة الدين، وإلى البساطة في اللغة والصناعة والفن والمدنية، وهذا الطابع – البساطة والوحدة – الذي يقف وراء العقم الفكري والإبداع الفلسفي لدى الساميين، أما النفس الآرية فيميزها ميل فطري إلى التعدد وانسجام التأليف"[٣].

---

(١) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية: د. مصطفى عبد الرازق (ص: ٥٢).

(٢) أرنست رينان (١٨٢٣ : ١٨٩٢م) تلقى تعليمه في المدارس اللاهوتية، وتعلَّم العربية في مدرسة اللغات الشرقية بباريس، زار المشرق وعاش بلبنان فترة من الزمن، واهتمَّ بالعقيدة الإسلامية، من أبرز اهتماماته دراسته، ابن رشد= =والرشدية، اهتمّ باللغات السامية وله موقف مشهور من العقل السامي، من مؤلفاته: تاريخ اللغات السامية. ينظر: معجم الفلاسفة: جورج طرابيشي (ص: ٣٣٩) دار الطليعة –ببيروت: ط٣/ ٢٠٠٦م، موسوعة المستشرقين: د. عبد الرحمن بدوي (ص: ٣١١) دار العلم للملايين ببيروت –لبنان: ط٣/ ١٩٩٣م، وموسوعة الفلسفة: د. عبد الرحمن بدوي (ج١/ ٥٤٨).

(٣) محاورات رينان الفلسفية: أرنست رينان (ص: ٥٨ وما بعدها) ترجمة: علي أدهم. مطبعة دار الكتب المصرية: ط٢/ ١٩٩٨م، تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية (ص: ١٧، ١٨)، وموسوعة الفلسفة: د. عبد الرحمن بدوي (ج١/ ٥٤٩، ٥٥٠).

من خلال تحليل هذا النص يتضح أن: هذه دعوى تفتقر إلى الدليل البرهاني، ولا يملك رينان في دعواه هذه إلا التعصب للجنس والثقافة، وما أشبه هذه الدعوى بأكذوبة لا أساس لها من الصحة والدليل والبرهان، وفيها إشادة بقيمة الفلسفة اليونانية والتقليل من الفلسفة الإسلامية، وأن العقلية العربية ذات طابع مقلد، فمن ثم جاءت الفلسفة الإسلامية اقتباسًا صرفًا وتقليداً للفلسفة اليونانية، وبذلك أدخل رينان على الفلسفة الإسلامية دعوى الطبيعة السامية وجعلها أساسًا للحكم على الفلسفة الإسلامية، ونقد الشيخ كلام رينان وقال أن: "رأي رينان في الفلسفة عند العرب لا يخلو من اضطراب، فإرجاع الفروق التي تشاهد بين سجايا الأقوام إلى اختلافات أجناسها وعروقها، والقول بأن الأجناس الفطرية يمتاز بعضها عن بعض بأوصاف فطرية وراثية، مما لا يقره العلم الحديث بوجه من الوجوه ويثبت "رينان" أيضًا إلى أن العقلية السامية مفطورة من حيث الدين على التوحيد، ومن حيث الفكر والفن واللغة على البساطة، والعكس صحيح فيما يتعلق بالعقلية الآرية المفطورة في تدينها على التعدد، وفي سائر مرافق الحياة على انسجام التأليف" [(١)].

تصدى الشيخ لتلك الأفكار وأقام البرهان على أن: التوحيد ليس تصور ساذج للألوهية كما يقول "رينان"، وإنما هو تصور رفيع لها، بل هو قمة تصوراتها، والتوحيد عند الساميين وعند غيرهم كان ولا يزال قمة الثورة العقلية على تعدد الآلهة، ولا نجد وجهًا للربط بين ذلك وبين الحكم على الفلسفة الإسلامية بالعقم الفكري والتقليد الأعمى للفلسفة اليونانية؛ ذلك لأن فكرة التوحيد ذاتها مبنية على دعائم عقلية، حتى عند الآريين، فأرسطو اليوناني مثلاً هو الذي قال بعدم الكثرة في ذات الله؛ لأن ذلك يؤدي إلى النقص، وفكرة الوحدة عند الساميين مبنية على أسس عقلية، وقد انطلقت

(١) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية (ص: ٥٣)، موسوعة المستشرقين: د. عبد الرحمن بدوي (ص: ٣١٥)، وحقيقة الفلسفات الإسلامية: د. جلال العشري (ص: ٤٨، ٤٩) تقديم: عبد الهادي مسعودي. الدار المصرية اللبنانية: ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

من موازنة بين فكرة التعدد، وفكرة الوحدة، كما نرى عند الحنفاء العرب قبل بعثة النبي محمد ﷺ[١].

أضف إلى ذلك أن الحنفاء كانوا يعرفون أن الإيمان بإله واحد أهدى وأحكم من الإيمان بالنصب والأوثان، أو الآلهة المتعددة، ومن هنا نجد أن التوحيد لا يؤخذ على عقلية الساميين؛ بل يجب أن يحسب لها كمظهر من مظاهر رقيها؛ إذاً التوحيد وهو قمة تصورات الألوهية، قد أتى عند العرب – على خلاف ما يزعم رينان – بناءً على تفكير راتب وموازنة واستنتاج وتبصُّر[٢].

* وذكر الشيخ أيضاً أن "تنمان" المؤرخ الألماني (١٧٦١ : ١٨١٩م) صاحب كتاب "المختصر في تاريخ الفلسفة" – معبراً عن رأي مؤرخي الفلسفة في الفلسفة الإسلامية في بداية القرن التاسع عشر يرى أن هناك أربع عقبات ثبطت تقدم العرب في الفلسفة، وعاقت سير الفلسفة الإسلامية عند العرب وهي: (كتابهم المقدس الذي يعوق النظر العقلي الحر، وحزب أهل السنة المتمسك بالنصوص، وأنهم لم يلبثوا أن جعلوا لأرسطو سلطاناً مستبداً على عقولهم دون حسن تفهمهم لمذهبه من الصعوبات، وأخيراً ما في طبيعتهم القومية من ميل إلى التأثر بالأوهام) من أجل ذلك لم يستطيعوا أن يصنعوا أكثر من شرحهم لمذهب أرسطو وتطبيقه على قواعد دينهم الذي يتطلب إيماناً أعمى فأضعفوه وشوهوه، وبذلك نشأت بينهم فلسفة تشبه فلسفة الأمم المسيحية في القرون الوسطى، تعني بالبراهين الجدلية المتعسفة وتقوم على أساس من النصوص الدينية [٣].

يتبين من خلال ذلك أن ما زعمه تنمان بعيد كل البعد عن الحقيقة؛ وذلك لأن القرآن الكريم حث

---

(١) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية: (ص: ٢١)، والفلسفة والحقيقة: د. عبد الحليم محمود (ص: ٢٩) مكتبة الأنجلو المصرية: ١٩٦٥م.

(٢) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية (ص: ٢١)، والتفكير الفلسفي في الإسلام: د. عبد الحليم محمود (ص: ١٩٠) دار المعارف: ط٢.

(٣) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية (ص: ٨– ١٠).

على التفكير العقلي في كثير من الآيات، وذم المقلدين، وأنكر على الذين عطلوا ملكة العقل والتفكير، وأيضًا الأحزاب الدينية حثت على الجدل، واستعمال العقل في مسائل العقيدة، وكيف لأرسطو أن يكون سلطانًا مستبداً على عقول العرب؛ ألم تقرأ فلسفة ابن رشد [1] والغزالي وغيرهم من فلاسفة العرب، والقول بأن طبيعة العرب قائمة على الأوهام قول قائم على التفرقة العنصرية، وكذلك لم يكن العرب شراح لمذهب أرسطو؛ بل إنهم أبدعوا وابتكروا وجددوا، وكيف لنا أن نطبق مذهب أرسطو على قواعد الدين الإسلامي!!

طرق نقد الشيخ لآراء بعض المستشرقين:

يلاحظ أن الشيخ استخدم في نقد آراء بعض المستشرقين طريقتين، **الطريقة الأولى:** هي بيان التناقض الحاد في مذاهب بعض الغربيين، يقول الشيخ في ذلك: "ولبيان حجم التناقض الحاد الذي وقع فيه كلاً من رينان وتنمان القول بأن الآثار الفلسفية العربية لم تدرس إلا دراسة ضئيلة جداً لا تجعل علمنا بها مستكملاً، ثم يثبتون أنه كان يوجد غالبًا عند العرب طائفتان من الفلاسفة عظيمتان: إحداهما: طائفة الفلاسفة على الحقيقة، وهم من القائلين بالوجود المثالي، والثانية: طائفة فلاسفة جدليين أهل النظر العقلي وهم المتكلمون الذين تقوم عقائدهم على الأصول الدينية الواردة في القرآن وتوصل الشيخ في بيان التناقض إلى مجموعة من الأمور هي: "نسب الفلسفة الإسلامية إلى

---

(١) ابن رشد: (٥٢٠هـ-٥٩٥هـ) محمد بن أحمد بن رشد الأندلسي، يكني بأبي الوليد، ويلقب بالحفيد، الفيلسوف، من أهل قرطبة، وكان عالمًا بالطب والفقه وعلم الكلام والفلسفة، وصنف نحو خمسين كتابًا، منها فلسفة ابن رشد، والتحصيل، والحيوان، وفصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، والضروري، ومنهاج الأدلة، وتهافت التهافت، وبداية المجتهد ونهاية المقتصد، ويعد الشارح الأكبر لأرسطو فقد اعتنى بمؤلفاته تفسيراً وتلخيصًا.= =موسوعة الفلسفة. د. عبد الرحمن بدوي (ج١/ ١٩-٢٦) المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت: ط١/ ١٩٨٤م، الأعلام للزركلي (ج٥/ ٣١٨)، ومعجم المؤلفين (تراجم مصنفي الكتب العربية) عمر بن محمد بن راغب كحالة ت: ١٤٠٨هـ.مكتبة المثني – بيروت ودار إحياء التراث العربي – بيروت (ج٨/ ٢٢٨).

الشعب العربي، وهذه الفلسفة شاملة لما يسمى فلسفة على الحقيقة مع ما اتصل به عرضـًا في بعض الأطوار من منازع الإشراقيين وشاملة أيضـًا لمذاهب المتكلمين، القول بأن العقبات التي عاقت سير الفلسفة هي عقبات دينية: القرآن الكريم وحزب أهل السنة واستعداد العرب للتأثر بالأوهام، إلى جانب خضوع عقولهم لسلطان أرسطو، ثم الاعتراف المكرر بعد ذلك بأن مصنفات الفلاسفة من العرب لم تدرس بعد حق دراستها"[١] بعد تجريد أقوال رينان من الحماسة والهوى والتناقض: يثبت أن هناك فلسفة عربية هي تعريب للفلسفة اليونانية، وهناك فلسفة إسلامية هي علم الكلام، ويصرح رينان بعد ذلك بأن في هذه الفلسفة الإسلامية موضعـًا للطرافة [٢].

ولئن كانت الفلسفة الإسلامية في غالب أمرها قائمة على العصبية لأرسطو وللمشائين فإن فلاسفة الإسلام على الحقيقة من أمثال ابن سينا [٣] كانوا يعرفون لأرسطو فضله من غير غفلة عن قصوره أحيانـًا وخطئه، وكان لفلاسفة الإسلام علوم من غير أرسطو؛ بل من غير علوم اليونان، وكانت وجهتهم أن يشيدوا هيكلاً فلسفيـًا يقوم على قواعد محصلة النقد من مقالات أرسطو والمشائين، وترفع أركانه بما عملته أيديهم، فالتراث الفلسفي لن يدرك إلا بعد أن تدرس آثار الفلاسفة الإسلاميين حق دراستها، ونشر ما لم ينشر بعد من المؤلفات والدراسات [٤].

---

(١) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية (ص: ٥٨، ٥٩).

(٢) الشيخ مصطفى عبد الرازق– مفكراً وأديبـًا ومصلحـًا: د. عاطف العراقي (ص: ٨٨).

(٣) ابن سينا: (٣٧٠هـ–٤٢٨هـ) الشيخ الرئيس؛ أبو علي، الحسين بن عبد الله بن سينا، الحكيم المشهور، كان أبوه من أهل بلخ وانتقل إلى بخاري، وتوفي بهمذان. من تصانيفه الشفاء، والنجاة، والإشارات والتنبيهات، والقانون، وغير ذلك مما يقارب مائة مصنف بين مطول ومختصر. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبو العباس شمس الدين بن خلكان ت: ٦٨١هـ. (ج٢/ ١٥٧) تحقيق: إحسان عباس. دار صادر – بيروت.

(٤) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية (ص: ٧١).

وقد أثبت الشيخ أيضًا التناقض والتضارب في فكر بعض الغربيين بقوله: "إن سمات الساميين (الوحدة والبساطة) هذه على تقدير رينان لازمة للجنس السامي في كل مكان وزمان، ما دامت تدخل في صميم الجنس، مع هذا فكلنا واحد عند رينان، مما ينقض ذلك نقضًا كاملاً، بالنسبة للعرب مما يصح القول بأن الرجل مختلف مع نفسه، فإنه يرى أنه لا وزن للعرب في تاريخ العالم السياسي والثقافي قبل القرن السادس الميلادي، وهو عصر ما يسميه رينان "الانقلاب المفاجئ" الذي صار به العرب أمة مبدعة على حد تعبيره، بعد أن قائدهم محمد ﷺ - ، ومن المعروف أن هذا العصر السابق لمعرفة العرب بعلوم اليونان، هذا يجعلنا نتساءل كيف يتسنى للرجل أن يتكلم عن إبداع فكر فلسفي وإسلامي بعد عصر البعثة، مع ما قرره سابقًا من إجداب العقلية السامية عمومًا! لا يمكن أن يكون ذلك من باب التخصيص للحكم الأول؛ لأن رينان هنا متعصب جنسيًا يرد القصور هنا إلى ذات الجنس كغريزة، فهو - أي الجنس السامي – مفطور على التقليد، كما يقال؛ إذاً فهو التضارب في الحكم، ومما يدل على تعصبه الأعمى، مع قلة ثقافته عن العرب، فهو بعد أن صرح بأن الفلسفة الإسلامية تقليدية، وغير مبتكرة، ولم تصنع شيئًا سوى تلقي الفلاسفة لجملة المعارف اليونانية، نجده بعد ذلك يخالف هذا التقرير والتصريح، حينما يقول: "اتخذ العرب من تفسير آراء أرسطو، وسيلة لإنشاء تفكير فلسفي مليء بالعناصر الخاصة مخالفة جد المخالفة لما كان يدرس عند اليونان" [1].

تعقيب:

نقد الشيخ ما شذ من كتابات المستشرقين وبيّن ما فيها من أخطاء علمية ومنهجية؛ لأنها تستند إلى التعصب الجنسي والديني، فضلاً عما فيها من اضطراب، وأثبت أن العلم الحديث قد أثبت فساد تفوق الأجناس واعتبرها نوعًا من الشطط، لا يتفق مع زعم العقلية العلمية الغربية، فكان منطق

(١) محاورات رينان الفلسفية: أرنست رينان (ص: ٦٠)، وتمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية (ص: ٢٠).

الشيخ هادئًا وعلميًا رصينًا، وأثبت الشيخ أن ما قاله رينان وأتباعه ما هي إلا دندنة قديمة تحدث فيها أرسطو قبل ذلك حيث ميّز بين اليونان وغيرهم من الشعوب، ثم انتقلت هذه الفكرة إلى الرومان، ثم احتضنها الألمان في بداية القرن العشرين، وأخيراً احتضنتها الصهيونية اليهودية وادعت أن اليهود هم شعب الله المختار، وإن لم يكن هذا التفسير صحيحًا، فكيف تفهم قول رينان: أن "ألبرتوس الأكبر"[١] مدين لابن سينا في كل شيء، وأن "توما الإكويني"[٢] مدين لابن رشد في كل فلسفته، فلئن صحّت لرينان قواعده المبنية على التعصب الديني والجنسي، لما صح منه هذا القول فهذا دليل على التناقض والتضارب في فكر رينان[٣]. إذاً استطاع الشيخ بفكره الإصلاحي أن يبيّن العقبات التي تحول بين رينان وغيره والحقيقة، وهي الخصومة والمعاداة المسبقة للجنس السامي والدين الإسلامي.

* **أما الطريقة الثانية للنقد:** الاستدلال بالأقوال المخالفة التي صدرت عن المؤلفين الغربيين، ببيان تهافت دعاوى الغرب المبنية على أساس التفرقة العنصرية المنهارة على أيدي بني أوطانهم من

---

(١) ألبرتوس الأكبر هو: ألبيرتوس بولشتايت راهب ولاهوتي، وفيلسوف، وعالم ولد في المانيا ١٢٠٦م، ومات في كولونيا ١٢٨٠م، وبدأ بترجمة الفكر لأرسطو طاليس إلى مفردات مسيحية. معجم الفلاسفة: جورج طرابيشي (ص: ٨٦). دار الطليعة –ببيروت: ط٣/ ٢٠٠٦م.

(٢) توما الإكويني: (١٢٢٥ – ١٢٧٤م) فيلسوف لاهوتي من أصل إيطالي، لقب بالمعلم الجامع للكنيسة، وكذلك بالمعلم الملائكي، منح درجة الأستاذية في اللاهوت سنة ١٢٥٦م، وشغل رسمياً أحد الكرسيين الممنوحين للإخوة الدومينيكانيين في جامعة باريس، ومنذئذ انصرف إلى التعليم إلى نهاية حياته، واهتم بالشروح على أرسطو عاملاً على دمج فكره بالمذهب المسيحي، من مؤلفاته: الخلاصة في الرد على الأمم، الخلاصة اللاهوتية. معجم الفلاسفة لجورج طرابيشي. (ص: ٢٤١ – ٢٤٤).

(٣) التفكير الفلسفي في الإسلام: د. عبد الحليم محمود. (ص: ١٨٩، ١٩٠).

الغربيين "وشهد شاهد من أهلها" كقول دوجا[١] الذي عقب في كتابه "تاريخ الفلاسفة والمتكلمين من المسلمين" في الرد على رينان: "أن هذه أحكام تذهب في البت إلى حد الشطط، ومصدرها سوء التحديد للفلسفة وجهلنا بما للعرب من مصنفات غير شروحهم لمؤلفات أرسطو، فهل يظن ظان أن عقلاً كعقل ابن سينا لم ينتج في الفلسفة شيئًا، وأنه لم يكن إلا تقليداً لليونان! وهل مذهب المعتزلة[٢] والأشاعرة[٣] ليست ثماراً بديعة أنتجها الجنس السامي!" [٤]، وذكر الشيخ أيضًا قول

(١) دوجا: (١٨٢٤: ١٨٩٤م) مستشرق فرنسي ولد في أورانج كلف بتدريس تاريخ وجغرافيا الشعوب الإسلامية في مدرسة اللغات الشرقية من مؤلفاته: تاريخ الفلاسفة والمتكلمين المسلمين من ٦٣٢ إلى ١٢٥٨م، مناظر من الحياة الدينية في الشرق، دراسة عن كتاب زاد المسافر لأبي جعفر أحمد وهو كتاب في الطب، نفخ الطيب في غصن الأندلس الرطيب للمقرئ. موسوعة المستشرقين: د. عبد الرحمن بدوي (ص: ٢٥٣).

(٢) المعتزلة: من أشهر الفرق الإسلامية، وهم أصحاب واصل بن عطاء، ويسمون أصحاب العدل والتوحيد، ويلقبون بالقدرية، والعدلية، وعرفوا بالمعتزلة لاعتزال مؤسسهم واصل بن عطاء مجلس الحسن البصري بعد الاختلاف في مسألة مرتكب الكبيرة. ولا يُستحق اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية: عبد القاهر بن طاهر البغدادي ت: ٤٢٩هـ (ج١/ ١٨) دار الآفاق الجديدة –بيروت: ط٢/ ١٩٧٧م.

(٣) الأشاعرة: هم أصحاب أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري المنتسب إلى أبي موسى الأشعري ﷺ، وللأشاعرة أتباعٌ كثيرون من العلماء الأقوياء من الشافعية والمالكية والحنفية وبعض الحنابلة، ويستدل الأشاعرة على العقائد بما ورد في الكتاب والسنة بجانب الاستدلال بالأدلة العقلية والبراهين المنطقية. الملل والنحل أبو الفتح محمد بن عبد الكريم أحمد الشهرستاني ت: ٥٤٨هـ.(ج١/ ٩٤) تحقيق: أحمد فهمي. دار الكتب العلمية ببيروت: ط٢/ ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

(٤) موسوعة المستشرقين: د. عبد الرحمن بدوي (ص: ٢٥٤)، وتمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية (ص: ٥٦، ٥٧).

مُنك [١]: "أكد مُنك على أن الفلسفة لدى العرب لم تتقيد بمذهب المشائين؛ بل فيها مذهب أهل السنة الواقفين عند النصوص، ومذهب الشك، ومذهب التولد؛ بل فيها مذاهب شبيهة بمقال اسبينوزا [٢]، ومذهب وحدة الوجود الحديث" [٣].

تعقيب:

بعد هذا العرض يتضح أن: هذه الأوجه من التناقض كافية وحدها لهدم أساس آراء رينان وأتباعه، وهي القاعدة التي ترتكز عليها آراء بعض من الغربيين، وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾﴾ [٤] فهذه الدعاوى أثبتت أنها ليست علمية على أي وجه، وأن القول بها ليس سوى دعوى مزعومة تستتر وراءها غايات كثيرة، ومما يكذب هذه الدعوى وما يترتب عليها أن هناك حضارات نشأت في العالم وازدهرت متطوعة بهذا الجنس الراقي في زعمهم، كحضارة مصر العريقة [٥]، أضف إلى ذلك أن الآريون أنفسهم قد هدموا دعوى تفوق

---

(١) مُنك : (١٨٦٧ : ١٨٠٣) مستشرق فرنسي برز في تاريخ الفلسفة اليهودية ولد في ألمانيا وتوفى في باريس من مؤلفاته : فلسطين: وصف جغرافي، وتاريخي، وآثاري لها، تحقيق وترجمة كتاب "دلالة الحائرين" لموسى بن ميمون. موسوعة المستشرقين: د. عبد الرحمن بدوي (ص: ٥٧٢، ٥٧٣).

(٢) اسبينوزا: [١٦٣٢ - ١٦٧٧م] فيلسوف هولندي، كان يهوديًا لديه نظرة ناقدة للتفسيرات المتواترة للإنجيل فصدر ضده قرار بالحرمان من قِبَل الكنيست اليهودي، وعاش حياة هادئة انصرف فيها لدراسة الفلسفة، ودرس مؤلفات ديكارت، ومن مؤلفاته رسالة في إصلاح العقل، والأخلاق. الموسوعة الفلسفية المختصرة لجوناثان ري وأرمسون: (ص: ١٨٠، ١٨١) ترجمة: فؤاد كامل وجلال العشري. مراجعة وإشراف: زكي نجيب محمود. المركز القومي للترجمة بالقاهرة: ط١/ ٢٠١٣.

(٣) موسوعة المستشرقين: د. عبد الرحمن بدوي (ص: ٥٧٣)، وتمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية (ص: ٥٧).

(٤) سورة الحشر جزء من الآية (٢).

(٥) أضواء على الفكر العربي الإسلامي: د. أحمد أنور الجندي (ص: ٩٣، ٩٤) الهيئة المصرية للكتاب: ١٩٨٦م.

جنس على جنس، وهذا الجنس الآري لا يدل على سلالة بعينها، وليس معنى رفض الزعم بالتفوق الآري إنكار لاستفادة العرب من الحضارات السابقة؛ خاصة وأن ذلك ثابت في كل الحضارات الإنسانية التي لا تقوم فجأة، ولكنها تقوم على الاستفادة من الفكر الإنساني السابق عليها، ثم الإضافة عليه من روحها وثقافاتها، ويوضح الشيخ ذلك بقوله: "فلا غنى لنا في الكمال المدني الذي ننشده عن الاستفادة من الأمم التي سبقتنا في ميدان الرقي، وأن الشرق والغرب هما شطرا الإنسانية، فمن سعى بينهما بالفرقة كان عاقًا، وجانيًا على الإنسانية إنما نحن مصلحون نمهد للمودة والقربى بين الشعوب البشرية كلها" [١]، "وكل ما نرجوه من هذه الأمة أن لا يسوء ظنها بالحديث وأن لا تحتقر القديم، فإن مجدها المأمول يقوم على الأخذ بالحديث واحترام القديم" [٢]، إذاً الفكر الإصلاحي يحث على الاستفادة من علوم الغرب المدنية فقط، ورفض تقليد الغرب في مظاهر الأخلاق والسلوك الاجتماعي، إذاً الإصلاح الفكري قائم على التميز والتفرقة فنأخذ من الحضارة الحديثة النافع ونترك منها الضار والفاسد، أضف إلى ذلك أن الشيخ لم يغفل عن أثر العوامل الخارجية في الفلسفة الإسلامية، وحصره الشيخ في نطاق تأثر الحضارات ببعضها، ومهما يكن من تأثر فإنها عوامل طارئة، صادفت شيء قائم بنفسه، فاتصلت به ولم تخلقه من عدم، وكان بين الحضارات تمازج أو تدافع، لكنها على كل حال لم تمح جوهره محواً، ويعد هذا سمة أصيلة في التفكير الإسلامي، فيتفاعل مع الآخر بوعي وحرص، ويأخذ منه الصالح ويترك منه الطالح، محتفظًا بذاتيته وخصوصيته الدينية والثقافية.

(١) الشيخ مصطفى عبد الرازق ومذكراته – عقل مستنير تحت العمامة: أحمد زكريا الشلق (ص: ٣٠)، من خطبة مصطفى عبد الرازق في حفل الرابطة الشرقية: ٢٠ مارس ١٩٢٥م.

(٢) من آثار مصطفى عبد الرازق (ص: ٣٧٣).

الخاتمــة

بعد دراسة الفكر الإصلاحي عند الشيخ مصطفى عبد الرازق أستطيع أن أستخلص بعض النتائج المهمة التي أُلخصها في النقاط التالية:

* يتضح أن هناك جوانب تطبيقية متنوعة في مجالات الفكر الإصلاحي عند الشيخ منها الإصلاح في الجانب الأخلاقي، الاجتماعي، التعليمي، جانب المرأة، الإصلاح في الفكر الديني نحو "بيان العلاقة بين العلم والدين وبيان دور العقل في الدين"، والإصلاح في الفكر الفلسفي "في الرد على المستشرقين وبيان أصالة الفلسفة الإسلامية".

* أظهر البحث أن الشيخ مصطفى عبد الرازق ينتمي إلى المدرسة الأزهرية الإصلاحية في الفكر الإسلامي خصوصـًا مدرسة الإمام محمد عبده الإصلاحية، بل ظل الشيخ ينشر آثاره ووجهته في الفكر الإصلاحي جامعـًا بين القديم والحديث، مجاهداً بقلمه ولسانه وحياته العلمية لخدمة الدعوة الإصلاحية، ونشر الحرية الفكرية التي نهض بها الإمام محمد عبده.

* جعل الشيخ الدين هو أساس النهضة والتقدم والدعوة على عدم الانغلاق على الذات في التعامل مع الثقافات الأخرى ولكن رفض التبعية التامة للحضارات الغربية.

* اعتبر الشيخ الإمام الشافعي فيلسوفـًا إسلاميـًا؛ لأنه حاول أن يجعل من أصول الاستنباط الفقهي وقواعده علمـًا، وأعد مباحث علم أصول الفقه وثيقة الصلة بالفلسفة، وهو في جملته من جنس المباحث التي يتناولها علم الكلام كالتحسين والتقبيح العقليين، ووجوب شكر المنعم؛ لأن علم أصول الفقه قائم على القواعد المنهجية والتحليلات المنطقية والقياس والاستقراء والاستنباط.

* من خلال عرض العلاقة بين الدين والعلم توصل الشيخ إلى أن معنى الدين من الناحية الاشتقاقية اللغوية يتميز بأنه مرتبط بالمجتمع، ومن ناحية أخرى الدين الموحى به، وهو دين التوحيد المنزل من عند الله ﷻ، إذاً ربط الشيخ بين الدين في أصالته وبين وجود المجتمع، فالإيمان بإله واحد هو

الطريق المؤدي إلى الدين الحق وسعادة الإنسان، فالدين مرتبط بحياة المجتمع، وتوجيه الحياة إلى وجهة إصلاحية.

* ولم يرى الشيخ تعارضًا بين الدين والعقل فغايتهما واحدة وهي إسعاد الإنسانية، وليس ثمة عقيدة تقوم على احترام العقل الإنساني، وتعتز به، وتعتمد عليه كالعقيدة الإسلامية، وليس ثمة كتاب أطلق سراح العقل، وبيّن قيمته، وكرامته كالقرآن الكريم.

* أعلى الشيخ من قيمة العقل وأكد على مكانته الرفيعة في الإسلام، فهو أداة للمعرفة، بواسطته يتم تنظيم الأفكار والمعلومات، بحيث تتصف بالوحدة والترابط، فلا توجد معرفة تستغني عن العقل، والعقل لا يستغني عن المجال الذي يعمل فيه، فمن ثم جعل الشيخ العقل أحد ركائز فهم الدين، وبين أن علاقة الدين بالعلم علاقة توافق وانسجام وتكامل، ورفض أن تكون علاقة قائمة على الصراع.

* أشار البحث إلى استخدام الشيخ مناهج جديدة ومتنوعة في النتائج التي توصل إليها في فكره الإصلاحي؛ خاصة في عرضه لقضية أصالة الفلسفة الإسلامية، وبيان مفهوم الدين والوحي والإسلام، فاستخدم وثائق متنوعة، ومعلوم أن مناهج البحث العلمي لها دور كبير في خدمة الفكر على وجه العموم، فهي مرشد أمين للباحث، ونحن في مجال الدراسات الفلسفية والعربية، نحتاج لهذه المناهج؛ لأننا نملك تراثًا فلسفيًا ضخمًا طالت عليه قرون، وأصابه ما أصابه، ومن ثم لا نستطيع إحياء هذا التراث دون الاستعانة بهذه المناهج.

* نجح الشيخ في دحض كتابات ما شذ عنه بعض المستشرقين في قولهم بتقليد واتباع الفلسفة الإسلامية للفلسفة اليونانية، وعلى رأسهم رينان، وتنمان، فأثبت الشيخ أن الفلسفة الإسلامية مولود شرعي للمسلمين، ولد في بلاد العرب والمسلمين، وتربى على يد علماء الإسلام، ونشأ وترعرع، ثم شب واختلط بغيره من الأصدقاء، فتأثر بهم تأثر الصديق بالصديق، ولكن الأصل كما هو، كما أثر

الفكر العربي الجاهلي في نشأة الفلسفة الإسلامية، الذي رقّاه وهذّبه الإسلام بتعاليمه التي وردت في القرآن الكريم، ثم افترقت الأمة إلى أحزاب دينية وفلسفية كان لها عظيم الأثر في إنشاء فلسفة إسلامية.

* دراسة الشيخ العميقة والواعية للتراث الفلسفي الإسلامي، وإثباته للأصالة والابتكار لذلك التراث الفلسفي، أن ما علينا نحوه إلا أن نعيد اكتشافه، على ضوء مناهج البحث الحديثة، وأن ننشر منه ما لم ينشر، فضلاً على اطلاعه على الثقافة الأوربية، والاستفادة من مناهجها، وجوانب فكره المختلفة وأهله، كل ذلك لأن يكون ذو فكر إصلاحي متميز فريد في عصره.

* كشف البحث عن مذهب الشيخ في نشأة التفكير الفلسفي وتطوره، والتصدي لكتابات ما شذ عنه بعض المستشرقين، فعرض الشيخ آراء المستشرقين الذين أنكروا وجود الفلسفة الإسلامية في أواخر القرن التاسع عشر، وإبان القرن العشرين، ثم قام بالرد عليها بالأدلة العقلية والعلمية بموضوعية ونزاهة، وكشف البحث أيضـًا عن الموقف الفكري الإصلاحي النزيه الذي يتوخى الإنصاف والعدل والوصول للحقيقة في هدوء واتزان خاصةً في تعليقات الشيخ على جهود الغربيين في دراسة الفلسفة الإسلامية، فقال الشيخ: "إن الناظر فيما بذل الغربيون من جهود في الفلسفة الإسلامية وتاريخها لا يسعه إلا الإعجاب بصبرهم، ونشاطهم وسعة اطلاعهم وحسن طريقتهم، وإذا كان في جهودهم نزوات من الضعف الإنساني تشوب أحيانـًا جهودهم في خدمة العلم، فإنا نرجو أن يكون في تيقظ عواطف الخير في البشر وانسياقها إلى دعوة السلم العام، والنزاهة الخاصة والإنصاف والتسامح مدعاة التعاون بين الناس جميعـًا على خدمة العلم" [١].

* أثبت الفكر الإصلاحي عند الشيخ مصطفى عبد الرازق أن العقلية الأزهرية عقلية إبداعية، فآثاره ومؤلفاته الفلسفية والفكرية قدمت الكثير من الشروح والتعليقات على النصوص الفلسفية والأدبية،

(١) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية (ص: ٢٧)، والشيخ مصطفى عبد الرازق: د. عاطف العراقي (ص: ٣٦).

مما يدل على التعمق والقدرة على الفهم والتحليل، وقدم الشيخ نماذج فلسفية تشهد لها بالحركة الإبداعية وبالنمو والازدهار كما جاء في كتابه "فيلسوف العرب والمعلم الثاني" الذي قدم فيه أدلة الكندي- فيلسوف العرب - على وجود الله ﷻ، وفكر الفارابي- المعلم الثاني - الذي أعاد فيها النظر من جديد وخاصة في قضية الدين والفلسفة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

- أضواء على الفكر العربي الإسلامي: د. أحمد أنور الجندي الهيئة المصرية للكتاب: ١٩٨٦م.
- الأعلام: الزركلي الدمشقي. دار العلم للملايين: ط١٥/ ٢٠٠٢م.
- التعريف لمذاهب أهل التصوف: أبوبكر محمد بن إسحاق الكلاباذي. ط١/ بيروت ١٤٣٤.
- التفكير الفلسفي في الإسلام: د. عبد الحليم محمود. دار المعارف: ط٢.
- التوحيد: الماتريدي. ت: فتح الله خليف. دار الجامعات المصرية بالإسكندرية.
- الجرح والتعديل: ابن أبو حاتم الرازي ت: ٣٢٧هـ. مجلس دائرة المعارف العثمانية – بحيدر آباد الدكن – الهند ودار إحياء التراث العربي – بيروت: ط١/ ١٢٧١هـ-١٩٥٢م.
- الحقيقة في نظر الغزالي: د/ سليمان دنيا. دار المعارف بالقاهرة: ط٤/ ١٩٧١م.
- الدين والوحي والإسلام: د. مصطفى عبد الرازق. مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ٢٠١٢م.
- الشيخ الأكبر مصطفى عبد الرازق – مفكراً وأديبًا ومصلحًا: د. عاطف العراقي. الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية بالقاهرة ٢٠٠٤م.
- الشيخ مصطفى عبد الرازق ومذكراته – عقل مستنير تحت العمامة: د/ أحمد زكريا. الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٦.
- الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية: عبد القاهر البغدادي. دار الآفاق الجديدة -بيروت.
- الفصل في الملل والأهواء والنحل: ابن حزم الأندلسي. مكتبة الخانجي – القاهرة.
- الفلسفة والحقيقة: د/ عبد الحليم محمود. مكتبة الأنجلو المصرية: ١٩٦٥م.
- المعجم الفلسفي: د. جميل صليبا. الشركة العالمية للكتاب: ط ١٩٩٤م.
- المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة.
- المفكر الإسلامي المعاصر مصطفى عبد الرازق: د. على عبد الفتاح، دار المعارف: ط٢.

- الملل والنحل: الشهرستاني. ت: أحمد فهمي. دار الكتب العلمية ببيروت: ط٢/ ١٩٩٢م.
- الموسوعة الفلسفية المختصرة: جوناثان ري وأرمسون. ترجمة: فؤاد كامل وجلال العشري. مراجعة وإشراف: زكي نجيب محمود. المركز القومي للترجمة بالقاهرة: ط١/ ٢٠١٣.
- بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان: د. محمد عبد الله دراز. دار القلم بالكويت.
- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع: علاء الدين الكاساني الحنفي ت: ٥٨٧ هـ. دار الكتب العلمية: ط٢/ ١٩٨٦م.
- تحصيل السعادة: أبو نصر الفارابي. دار ومكتبة الهلال. ط١/ ١٩٩٥م.
- تعدد الزوجات من النواحي الدينية والاجتماعية: د. عبد الناصر العطار. الشركة المصرية للطباعة والنشر بالقاهرة: ط٥/ ١٩٧٢م.
- تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية: د. مصطفى عبد الرازق. تقديم: محمد حلمي. دار الكتاب المصري: ٢٠١١م.
- حقيقة الفلسفات الإسلامية: د. جلال العشري. الدار المصرية اللبنانية: ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.
- رسالة التوحيد: الإمام محمد عبده. دار الكتاب العربي.
- سنن الترمذي: أبو عيسى ت: أحمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي. ط٢/ ١٣٩٥ه-١٩٧٥م.
- سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبي عبد الله الذهبي دار الحديث -القاهرة: ٢٠٠٦م.
- عقيدتنا: د. محمد ربيع الجوهري ط٢/ ٢٠١٧.
- عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ابن أبو أصيبعة. دار مكتبة الحياة – بيروت.
- محاورات رينان الفلسفية: رينان. ترجمة: علي أدهم. دار الكتب المصرية: ط٢/ ١٩٩٨م.
- مراتب الإجماع: أبو محمد علي بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري ت: ٤٥٦ ه.دار الكتب العلمية ببيروت.

- معارج القدس في مدارج معرفة النفس: أبو حامد الغزالي. مؤسسة هنداوي: ٢٠١٧م.
- معجم الفلاسفة: جورج طرابيشي. دار الطليعة – ببيروت: ط٣/ ٢٠٠٦م.
- معجم المؤلفين: راغب كحالة. دار إحياء التراث العربي – ببيروت.
- مفاتيح الغيب: أبو عبد الله محمد الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري ت: ٦٠٦ هـ. دار إحياء التراث العربي – بيروت. ط٣/ ١٤٢٠ هـ.
- من آثار مصطفى عبد الرازق: على عبد الرازق. دار المعارف بمصر: ١٩٥٧م.
- موسوعة أعلام الفكر الإسلامي: المجلس الأعلى للشؤن الإسلامية القاهرة: ٢٠٠٤م.
- موسوعة الفلسفة: د. عبد الرحمن بدوي. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت: ط١.
- موسوعة المستشرقين: د. عبد الرحمن بدوي: دار العلم للملايين ببيروت: ط٣/ ١٩٩٣م.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبو العباس شمس الدين بن خلكان ت: ٦٨١هـ . تحقيق: إحسان عباس. دار صادر – بيروت.

فهرس الموضوعات

الملخص..... ٣٣٧
المقدمة..... ٣٣٩
التمهيد..... ٣٤٢
أولاً: التعريف بالشيخ مصطفى عبد الرازق..... ٣٤٢
ثانيًا: صلة الشيخ مصطفى عبد الرازق بالإمام محمد عبده. ٣٤٥
ثالثًا: سمات تفكير الشيخ مصطفى عبد الرازق ومنهجه..... ٣٤٦
رابعًا: الجوانب التطبيقية للفكر الإصلاحي عند الشيخ مصطفى عبد الرازق..... ٣٤٦
المبحث الأول: الفكر الإصلاحي في الجانب الديني في "بيان العلاقة بين العلم والدين، وبيان دور العقل في الدين". ٣٥٢
أولاً: تحديد مفهوم الدين عند الشيخ..... ٣٥٢
ثانيًا: بيان العلاقة بين الدين والفلسفة (النقل والعقل)..... ٣٥٦
ثالثًا: بيان دور العقل في الدين..... ٣٦٠
رابعًا: تناول الشيخ ظاهرة الوحي..... ٣٦٥
المبحث الثاني :الفكر الإصلاحي في الجانب الفلسفي في "الرد على المستشرقين وبيان أصالة الفلسفة الإسلامية". ٣٧٠
طرق نقد الشيخ لآراء بعض المستشرقين ٣٧٤
الخاتمة..... ٣٨١
المصادر والمراجع ٣٨٥
فهرس الموضوعات..... ٣٨٨